محمود غنيم

لمصر النصر



أو

هزيمة لويس التاسع

مسرحية شعرية تاريخية ذات أربعة فصول
فازت بجائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

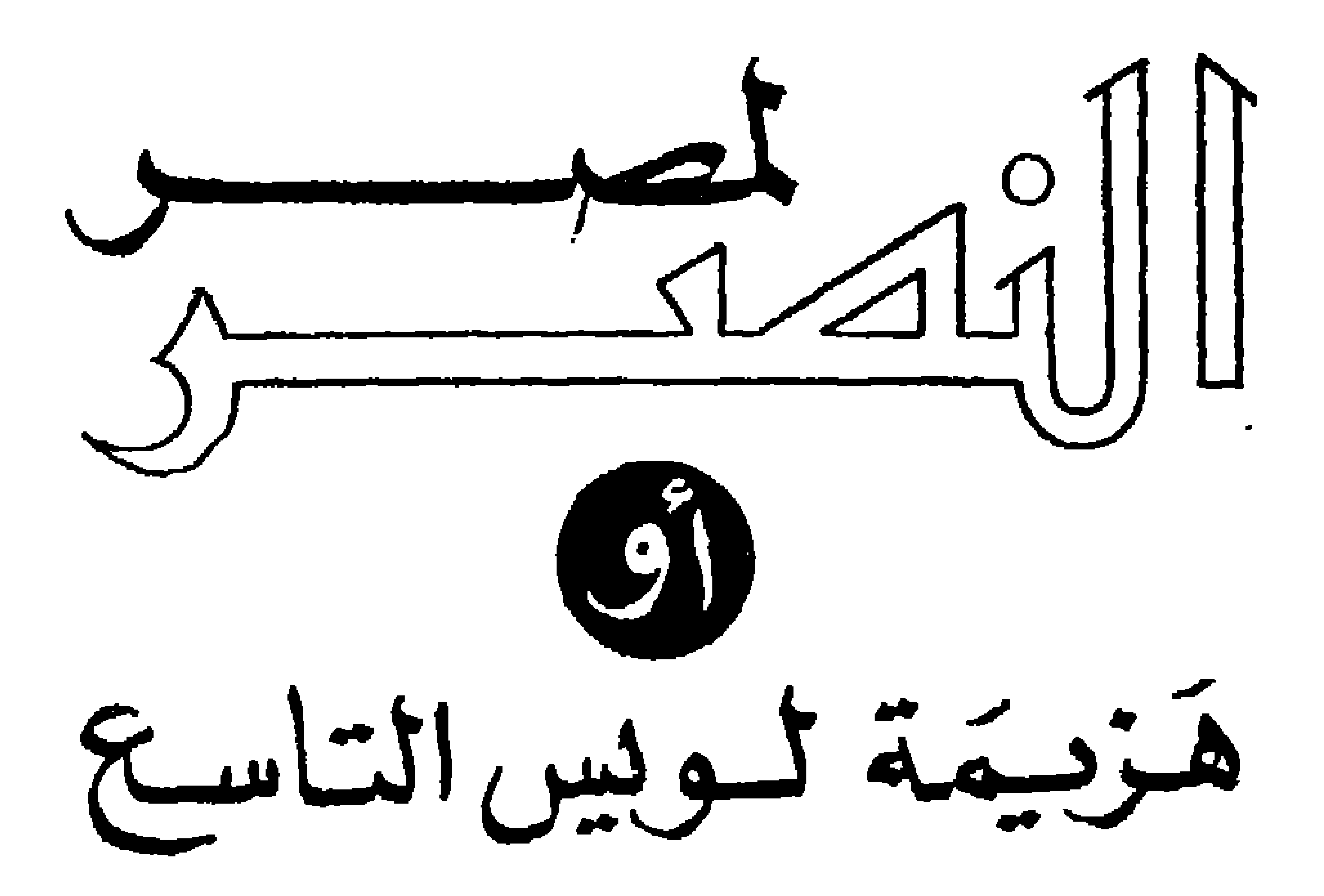
دار القلم



فازت هذه المسرحية بجائزة المجلس
الأعلى لرعاية الفنون والآداب

أسهمت وزارة الثقافة والإرشاد القومى
فى نشر هذه المسرحية

محمود غنيم



مسرحية شعرية تاريخية ذات أربعة فصول
تدور حوادثها حول انتصار المصريين
على لويس التاسع فى معركة المنصورة

الناشر



بالقاهرة

مقدمة
بقلم الشاعر المسرحي الكبير
عزيز أباظة

ستظل عبَرُ التاريخ وآياته على مَدار القرون منهلاً زاخراً بأروعِ ما يتزوَّد به الفنان ، وهو يحلِّق بجناحى فكره عَبْرَ الأجيال الماضية ، عساه يجد بين طوايا المجهول إلهامَ فنِّه ، متمثِّلا فى تلك النزعاتِ البشرية التى اصطبغت بها ملامح الحياة عصراً بعد عصر ، واتسم بها طابَعُ الوجود جيلا بعد جيل .

والحياة مذ تنفَّسَ صبُحها فى هذه الدنيا أشبهُ برواية أزلية ، تأتلفُ مناظرهُا تارةً ، وتختلف أخرى ، وهى فى ائتلافها واختلافها تسير بالبشرية إلى حيث يُسدَلُ ستارُ القدر على مُلك فيَبْلى ، أو جاه فيضمحلُّ ، وتتبدَّل وجوه الأيام ، والروايةُ كما هى متشابهة المناظر ، لا تأتى بجديد إلا فى الاتّجاه دون اللُّباب .

فالفنان الحق هــو من تستوعب واعيته جوهرَ الحياة . فيستخلصُ من حقائقها المتّسقةِ عناصر فنه ، وعواملَ إبداعه . والحياةُ بصورها المتباينة

وألوانها المختلفة تتراءى فى كل زاوية من زوايا التاريخ ، فلا عجب أن يتخذه الفنانون مصدراً ثراً من مصادر إلهامهم ، حين تتجه مخيلاتهم إلى تصوير فترة من حياة شعب أو بيئة أو مجتمع .

وهذه الرواية تتحدث عن قطاع من تاريخنا المشرق ؛ وما أكثرَ القطاعاتِ المشرقة فى تاريخنا القديم والحديث على السواء ! وإنها لَلَحظاتٌ ممتعةٌ تلك التى يعيشها الإنسان مع أبطال قوية فى جيل من الأجيال ، يتملى صراعهم من أجل الحِفاظ على تراب هذا الوطن ألاَّ تدنِّسه أقدام الغزاة ، ويرى هذا الشعبَ وقد خاض لجج الأهوال الرهيبة ، غيرَ حافل بالأشلاء والدماء حتى اعتلى قمّةَ النصر المؤزَّر ، وجعل الغزاة يلبسون سرابيلَ الخزى والعار وهم صاغرون .

فالفترة التى تتحدث عنها الروايةُ يسودها القلقُ والاضطرابُ وتتخلّلها الأطماعُ ، فقد اشرأبّتْ أعناق الصليبيين إلى السيطرة على ماتتسعُ له أخيلتُهم من هذه الأرض العربية ، وكان غزوُ لويسَ التاسعِ ملكِ فرنسا لمصر فى ذلك الحين حلماً من أحلام السيطرة التى تراود أذهانَ الصليبيين ، ولم يكن يتوقّعُ أو يدورُ بخلَدِه أن هـــذا الشعب سيستمرئ مرارة الحرب ، ويجد لذة فى الكفاح ، حتى توالت الهزائم على كتائبه فى معركة المنصورة ، وأصبح أسيراً فى دار ابن لقمانَ ، يتجرَّعُ غُصَصَ المهانة ، إلى أن افتدته زوجته ، وغادر هذه البلاد تُشيِّعهُ الهزيمةُ والشَّنارُ .

وكان للفطنة الثاقبة التى تتمتع بها شجرةُ الدر أبعدُ الأثر — فى تقديرى — فى هزيمة الفرنسيين وانتصار المصريين ، فقد أخفت نبأ وفاة زوجها حتى لا تَشغلَ الأذهانَ بالتغير الذى طرأ على قواعد الحكم ، ومن ثم كانت هذه

الحكمة فى تدبير شئون الدولة من العوامل النفسية التى رجّحت كفة الحرب ، وجعلت اندحار الفرنسيين أمراً مقضيّـا .

ووقائع هذه المعركة فصّلها الأستاذ الشاعر الكبيرُ فى روايته القيمة تفصيلا مبيناً ، دون أن يتجنّى أو يفتاتَ على حقائق التاريخ ، أو تجرفَه الحماسةُ الوطنيةُ إلى اصطناع انتصارات من لدنه ، ولقد توخى القواعدَ الأساسيةَ فى التأليف المسرحى ، فبسّط لغةَ الحوار حتى جاءت سلسةً منطلقةً ، لاتعقيد فيها ولا تكلّفَ ، ونسّق المشاهد فى ترتيب منطقى ، تهدى فيه المقدّماتُ إلى النتائج ، وصحب بفكره أبطال روايته عن وعى وإدراك كاملين ، حتى كشف الحجاب عن مكنون ضمائرهم ، وأبرز أدقّ الخلَجات والنّزعات التى تجيشُ فى قلوبهم ، لذلك بلغ شأواً فنياً بعيداً من الجوْدة والإتقان .

وإنه لخليق بالزهو والإعجاب أن نرى ماضينَـا وقد انبعث فى هيئة أعمال فنية ، تنشها قرائح فنانينا ومفكرينا بين الحين والحين ، لأن فى هذا استعادةً لذكريات تملأ النفس غبطةً وبهجة ، واستنهاضاً لهمم هذا الجيل أن يأتسى بما قدمه السابقون الأولوْن من فداء وتضحية ، وأن يصل ماضيةَ المشرقَ بحاضره المزدهر .

من أجل ذلك كله يسعدنى ويشرفنى فى وقت معاً أن أقدم هذه المسرحيةَ للناس . وأن أهنّىءَ شاعرنا الكبير الموهوب على توفيقه المتوثّق فى هذا الميدان الجديد — ميدان التأليف المسرحى — سائلاً الله أن يديم عليه ما أسلفه له من نعمة البلاغ والتألق فى خدمة اللغة العربية الكريمة . والشعر العربىّ الخالد .

عزيز أباظه

كلمة موجزة

بقلم المؤلف

كنَّا ومازلنا نعتقدُ أنَّ الشعرَ لغةُ المسرح، لأنه أبعدُ مدًى وأعمقُ غوراً في النفوس من أى ضرب آخرَ من ضروب التعبير ؛ ولا سيما إذا استطاع المؤلفُ تطويع أوزانِ الشعر وإخضاعَ قوافيه لمقتضياتِ الحوار ومسايرة الحوادث .

ولعلَّ الشعرَ كان لغة المسرح منذ عهد الإغريق القدماء بالتمثيل المسرحى ، ولعله ظل كذلك فى غير العربية من اللغات ، على أن ما ظهرَ فى العصر الحديث من المسرحيات الشعرية باللغة العربية يبشِّرُ بالخير ، ويغرى بالمزيد .

ولقد كان اختيار موقعة « المنصورة » موضوعا لرواية مسرحية اختياراً وطنياً موفقاً ، فإن هذه الموقعةَ حافلةٌ بالأمجاد المصرية التى نحن فى مسيس الحاجة إلى إثارتها والتنويه بل التشهير بها إبان نهضتنا الحالية، ولقد كان غِنىً هذه الموقعة بالأمجاد المصرية مغنياً لنا عن كدِّ الخيال فى اصطياد هذه الأمجاد ، وعن الاستعانة بالأشخاص الخياليين إلا بقدر محدود دعت إليه الحبكة المسرحية .

ولقد استقرَأنا معظم ما كُتب فى هذا الموضوع من المراجع التاريخية على ما بين بعضها وبعض من تضارب فى رواية بعض الأخبار ، على أن هذا التضارب لم يكن له كبير تأثير على بناء المسرحية ، والذى نستطيعُ أن نقطع به أننا التزمنا

الجانب التاريخىَّ التزاماً ولم نتحال منه إلا بمقدار ما يقتضيه بناء المسرحية مما لا يمَسُّ جوهَرَ التاريخ فى قليل أو كثير .

ولقد كان حرصنا شديداً على إبراز كفاح الشعب فى هذة الموقعة الخالدة ، ولم يكُنْ فى هذا تجنٍّ على التاريخ نفسه ، فإن الأمر كان كذلك ، أعنى أن دور الشعب فى هذه المعركة كان أبرز من دور السلاطين والجنود الرسميين ، ذلك أن فترة حدوث هذه الموقعة كانت فترة بلبلة واضطراب بالنسبة لعرش مصر ، إذ أنها فترةُ انتقال الحكم من أيدى الأيوبيين إلى أيدى المماليك . ويكفى دليلاً على ذلك أنَّ عرشَ مصر قد تعاوَرَهُ فى فترة حدوث هذه المعركة — وهى لم تزد على أحدَ عشَرَ شهراً — ثلاثةُ سلاطينَ ، بل أربعةٌ إذا اعتبرنا أنَّ عز الدين أيبك التركمانى كان هو السلطانَ الفعلىَّ لمصر بعد بنائه بشجرة الدر وقبل أن تتنازَلَ له عن العرش بصفة رسمية .

وبعد ، فإنا لم نرَ داعياً لسرد قائمة مطولة من المراجع التى رجعنا إليها اعتماداً على أن مجردَ قراءة هـــذه المسرحية يكشف عن مدى هذا الاطلاع والله ولى التوفيق .

المؤلف

أشخاص الرواية

طبقا لتتابعهم على المسرح على وجه التقريب

١	أنغـــــام	: وصيفة بالقصـر	شخصية خيالية
٢	أنســـام	: وصيفة بالقصـر	» »
٣	صبيـح	: طواشى وسجان	» تاريخية
٤	تاج الملك	: أميرة من أميرات البيت الأيوبى	» خيالية
٥	بيبرس البندقدارى	: قائد من قواد المماليك	» تاريخية
٦	جاسوسـان فرنسيان		شخصيتان خياليتان
٧	شجرة الدر	: زوجة السلطان نجم الدين أيوب وسلطانة مصر بعد ذلك	شخصية تاريخية
٨	عز الدين أيبك التركمانى	: قائد من قواد المماليك	» »
٩	أقطاى	: » » » »	» »
١٠	عز الدين بن عبد السلام	: عالم كبير وزعيم الشعب	» »
١١	الصالح نجم الدين أيوب	: سلطان مصر	» »
١٢	الأمير فخر الدين	: والى دمياط وقائد الجيش	» »
١٣	البهاء زهير	: شاعر . وكاتب الديوان	» »
١٤	المعظم توران شاه	: سلطان مصر بعد أبيه نجم الدين أيوب	» »
١٥	لويس التاسع	: ملك فرنسا	» »
١٦	مرغريت	: زوجة « لويس » التاسع	» »
١٧	جمال الدين بن مطروح	: شاعر	» »
١٨	عـراف		» خيالية
١٩	حاشية . أسرى . حجاب . وفود شعبية . تنكرات مسرحية .		

ملاحظـة :

لم نسرف فى تصميم المسرح ووصف المناظر وما يتعلق بالشخصيات من ملابس وهيئات اعتمادا على أن يتولى المخرج كل ذلك على ضوء ما يقتضيه سياق الحوادث .

الفصل الأول

المنظر . بهو فى قصر السلطان نجم الدين أيوب بأشموم طناح - فى صدره عرش قائم . الوقت مساء . الوصيفتان أنغام وأنسام تتناجيان

أنغام : [فى تحسر] عجيبٌ أمرُ سيدتى عجيبُ

يطيبُ لها مع الوُرْقِ النَّحيبُ

أنسام : « « إذا نَاحَتْ مطوَّقَةٌ أجابتْ

وإنْ غنَّى هَزارٌ لا تُجيبُ

أنغام : « « وإذ يبدو على فمها ابتسامٌ

يلوحُ كأنه ضيفٌ غريبُ

أنسام : « « ومُذْ قَتَلَ الصليبيون مجدًا

أخاها دمعُها أبدًا صبيبُ

إذا نضَبَتُ مياه النيل طرًّا

فليسَ لدمعها أبدًا نضوبُ

أنغام : « « لقد كان الصليبُ شِعارَ سلْمٍ

فذلكَّ قواعد السِّلم الصليبُ

أنسام : [فى تحسر] وما عيسى ديانَتَـهُ صراعٌ

ولا طه رسالتُــــهُ حروبُ

أنغام : « « يريدُ اللهُ إصـــلاحاً وخيْراً

وباسم الله تُقترَفُ الذنوبُ

وما بالدين من عيبٍ ولـكنْ

فسادُ الدِّينين هو المَعيبُ

أنسام : دَعِينا من حديث الحرب إنّا

نـكادُ إذا سمعناها نَشيبُ

أنتركُ عُودَ تاج الملك يَذوِى ؟

ونتركُ حسنَها ملحاً يذوبُ ؟

أنغام : لتـاج الملك يا أنسامُ حُسْنٌ

تضاعفُـهُ الـكآبةُ والشحوبُ

فلا من فرعها اختَفَتْ الدياجى

ولا من خدِّها انطفأ اللهيبُ

أنسام : وبعضُ الحسن مكتئبٌ حزينٌ

وبعضُ الحسن ممراح طَروبُ

أنغام : وكم حُسنٍ يخفُّ به وقارٌ

فتهفُو عنــــد رؤيته القلوبُ

أنسام : [في خبث] لعمريَ لا يخفِّفُ من أساها

ويُذهِبُ ما بهـا إلا حبيبُ

أنغام : [في إنكار] حبيبٌ يا خبيثةُ ؟

أنسام : ذاك ظنِّي

وظنِّي في العــذارى لا يخيبُ

إذا الداءُ العُضالُ أصابَ بِكراً

فليس سوى الزواج لهـا طبيبُ

أنغام : أيغزو قلبَ تاج الملك غازٍ ؟

وكيف وقلبُها صخرٌ صليبُ ؟

تعيش مع الـكواكب في الأعاليَ

ويرقُبُهـا على الأرض الرقيبُ

أنسام : يعزُّ عليَّ هذا الحسنُ يَذْوِي

وليسَ لعاشـــقٍ منه نصيبُ

لعمريَ إنَّ مولاتيَ كمعنىً

دقيقٍ لم يصـــوِّرْهُ أديبُ

وما هي غيرُ زهرٍ ليس يَسْرِي

شـذاهُ وليس ينفحُ منه طيبُ

وما الوادي الخصيبُ سوى يبابٍ

إذا لم يُسْـكَنْ الوادي الخصيبُ

وما الغُصْنُ الرطيبُ سوى هشيمٍ

إذا لم يُهْصَرْ الغصنُ الرطيبُ

أنغام : [في شبه همس] على أنَّا سمعنا أمسِ همساً

وما ندري أيخطئ أم يصيبُ ؟

أنسام : » » » أيبني

أنغام : » » » إنَّ تاج الملك أضحى

لها رُومِيُو

أنسام : » » » ومَنْ هُوَ يالعوبُ ؟

أنغام : » » » يقولُ الناس عن « بيبرسَ » صبٌّ

يَهِيمُ بحسنها

أنسام : أملٌ كذوبُ

فهل ترضاه تاج الملك يوما

قريناً وهْـو مملوكٌ جليبٌ ؟

وهلْ يرضاهُ بيتُ الملك صهراً ؟

أنغام : نَعَمْ يرضاه فهو فتىً نجيبُ

فتىً ماء الشباب بوجنتيه

يموجُ وسَمْتُهُ سَمْتٌ مَهيبُ

وإن شبَّتْ لظى الهيجاء يوماً

يصولُ كأنه الأَسَدُ الغضوبُ

أنسام : ولكنْ ماله حَسَبٌ

أنغام : دعينا

أَخُو العزم القويِّ هو الحسيبُ

أنسام : ولكن مهرُ تاج الملك غالٍ

أنغام : هَبيهِ . إنه سَمْحٌ وهوبُ

أنسام : حسبتِ المهر يا أنغامُ مالاً

تَفيضُ به الخزائن والجيوبُ

وليس المهر إلا ألفَ رأسٍ

من الإفرنج يدفعها الخطيبُ

أنغام : أتطلبُ ألفَ رأسٍ فى أخيها ؟

أنسام : نَعَمْ

أنغام : مهرٌ تخفُّ به الخطوبُ

ولـكن سوف يبذله « بِبَرْسٌ »

« وإن غداً لناظِرِهِ قريبُ »

[ويدخل الطواشى صبيح]

صبيح : [فى حركات ضاحكة] سمعتُـكُما معاً تتناجيانِ

عَلَى مَنْ كُنتما تتآمرانِ ؟

أنغام : [ضاحكة] صبيحُ صبيحُ

أنسام : « مرحَى يا طواشِى

صبيح : [مهدداً] أَتَبْتَسِمَانِ لى ؟ لا تَخْدَعانِى

ألا فلتَصْـــدُقانى القولَ حالاً

أعنىِّ كنتُما تتحدَّثانِ ؟

أعنىِّ قلتُما خــيراً ؟ محالٌ

تقولُ الخيرَ ألســنةُ الغوانى

أنغام : [ساخرة] تقولُ عنكَ تعيسُ الحظِّ منـكودُ

« لا فى الرجال ولا النسوان معدودُ »

أنسام : فأنت فى مجلس النسوان مبتَـذَلٌ

وأنت عن مجلس الذكران مطرودُ

صبيح : [غاضباً] أهكذا بالفحشِ تنطقانِ

يا ســبَّةَ الخرائد الحسانِ ؟

مولاىَ نجمُ الدين يُعلىٰ شأنِى

وزوجُهُ شجَرَةُ الجُمانِ

تعرفُ إنْ جهلتُما مكانى

إنِّى لمأمونٌ على الغوانى

أغْشَى حماهُنَّ بلا استئذانِ

ما فى الغوانى حرةٌ تخشانِى

[بعد فترة صمت] الحمدُ لله فقد كفانى

مئُونَةَ الزوجة والصِّبيانِ

إنى أعيشُ العمرَ فى أمانِ

مِنْ نكد الدنيا وتقضيانِ

عمْركما بحثاً عن العرسانِ

خلقتما للهمِّ . تَحْملانِ

وتَضَعَانِ ثم تُرضعانِ

وتشربان المرَّ بالفِنجانِ

فلا نجوتُما من الهوانِ

ولا سلمتُما من الأحزانِ

يا وصْمَةً في جبهة القِيانِ

وشوكة في قدم الزمانِ

أنغام : [ساخرة] أسرفْتَ في الزُّور وفى البهتانِ

أنسام : وقلتَ أقوالا بلا معـــانى

أنغام : [ساخرة] لا فُضَّ فوكَ أنتَ ذو لسانِ

ألْدَغَ من أفعى ومن ثعبانِ

صبيح : [متحمساً] لكننى في حَوْمةِ المَيْدانِ

ألعبُ بالسيف وبالسنانِ

أمَا سمعتُما من الرُّكبانِ

عنِّىَ في معاركِ الصُّلبانِ

تدرى الفرنجُ عصبةُ الشيطانِ

مواقفى في الذود عن أوطانى

أنسام : [ساخرة] أقصرْ ثكلَتْكَ قد صدَّعْتَ آذانى

وخضتَ نار الوغى في غير مَيْدانِ

أنغام : [ساخرة] فيم البطولة يا صُعلوكُ تزعُمُها

هل أنتَ يومَ الوغى « بيبرسٌ » الثانى؟

صبيح : ماذا تقولين هل « بيبرسُ » يفْضُلُنى ؟

إنِّى و « بيبرسَ » يومَ الرَّوع نِدَّانِ

[يدخل « بيبرس » مكتئبا]

أنسام : [فى دهشة] قد جاء « بيبرسُ »

صبيح : [وهو يلتفت ويتلعثم] حقًّا . أين منه أنا ؟

شتَّانَ ما بين ذُؤْبانٍ وخِرفان

[صبيح ينسحب و « بيبرس » ساهم لا يرد]

أنغام : ما ذلك الصَّمتُ ؟

بيبرس : [فى سهوم] سُقْمٌ حلَّ فى بَدَنِى

قد حرَّم النومَ طولَ الليل أجفانى

أنسام : [فى تخابث] سُقْمٌ بجسمك أم سُقْمٌ بقلبك يا

هذا ؟ أجبْنى فإنَّ السُّقمَ نوعانِ

بيبرس : [فى دهشة] سقمٌ بقلبىَ ؟ مَنْ أدراكِ أنتِ به ؟

أنسام : [فى تهكم] قرأتُ سرَّك فى كفٍّ وفنجانِ

أنغام : « « تشكو سَقاماً وما غيرى طبيبتُهُ

لـكنَّ طبِّىَ يا « بيبرسُ » روحانِى

أنسام : [فى قوة] اجهرْ بحبِّك لا تـكتمُ لواعجَهُ

فى القلب . فالحبُّ لا يخفَى بكتمانِ

بيبرس: [فى تأثر بالغ] لله درُّك من حرْباءَ ماكرةٍ

تستخرجُ السُّمَّ من أنياب ثعبانِ

لمستِ جرحاً بقلبى عزَّ بلسَمُهُ

حاولتُ كتمانَه دهراً فأعيانى

أقسمتُ ما بىَ من داء يخامرُنى

لـكنْ هُيامى بمن أهواه أضنانى

أحِنُّ شوقاً إليه وهُوَ فى شُغُلٍ

تدرى النجومُ ولا يدرى بتَحنانى

ويَنْتَشِى القلبُ من ذكر اسمِهِ طرباً

كأنَّ أحرُفَهُ لحنٌ بآذانى

مَنْ كان يطربُهُ طيرٌ على فَنَنٍ

فاسمُ الحبيب ترانيمى وألحانى

يا ليتَ شعرىَ أيدنُو النجمُ من أُفُقى ؟

هيهاتَ هيهاتَ ليس النجم بالدانى

أطمعتُ نفسيَ فيما لستُ أدركُهُ

لو كان لى أملٌ فيـــه لَعزَّانى

يا بيتَ أيُّوبَ هل يَرقَى إليكَ فتًى

مثلى تجرَّدَ من جاهٍ وسلطانِ ؟

إن لم يكن لىَ سلطانٌ أُدلُّ به

فقد خدمتُكَ فِى صدق وإيمانِ

إن كنتُ عندكَ مملوكاً فكم خُضِبَتْ

فى صَوْن تاجِكَ درعى بالدم القانى

لىْ من جهادىَ عرش أستظِلُّ به

تَفْنَى العروشُ وعرشى ليس بالفانى

أنغام : [فى ابتسام] يا مَنْ لقلبٍ بالغرام جريحٍ ؟

أنسام : « « « ابنُ الملوَّحِ » أنتَ وابنُ ذَريحِ

أنغام : مَنْ ذَا الذى أصمى فؤادَكَ ؟ إننَّا

لا نـكتفى يا صاح بالتلميحِ ؟

أنسام : أصمَتْه تاج الملك . لا تتَجاهلى

هل بعدَ هذا القول من تصريحِ ؟

أنغام : [لبيبرس] لِمَ لا تُجيبُ ؟

أنسام : أكانَ يسكُتُ هكذا

لو كان ما قلنــــاهُ غيرَ صحيحِ ؟

[تدخل تاج الملك فى ثياب الحداد]

أنغام : [فى دهشة] يا لَعجائِبِ القـــــدَرْ

أنسام : « « ماذا دهاكِ ؟ مَنْ حَضَرْ ؟

أنغام : مولاتُنـــا قد أقبلَتْ

فى حالِكٍ من الحَبَرْ

أنسام : يا هل تُرىَ أعنــدها

عن حبِّ « بيبرس » خــبرْ ؟

أنغام : ســـــينجلى الأمرُ لنا

صبرًا . يفوز من صَــــبَرْ

تاج الملك : عِمُوا مَساءً

أنسام وأنغام : [وبيبرس مأخوذ] مرحباً

بالبدر فى الأفْقِ ظَهَرْ

تاج الملك : « بيبرسُ » ســـاهٍ مطرقٌ

كأنه بىْ ما شَــــــعَرْ

أنسام وأنغام : بل اعـــــتراه حينما

رآكِ عيٌّ وحَصَر

بيبرس: [فى لهفة وارتباك] « بيبرسُ » لـمـــا أشرقت

شمسُك نـكّسَ البصَرْ

إنـ الشموسَ دائمـا

شـــــعاعها يُعشِي النَّظَرْ

تاج الملك : [فى دلال] هـــذا لعمرئ غَزَلٌ

أنغام : [فى خبث] دَعِيهِ يهْذِى . لا ضَرَرْ

أنسام : أجَلْ أجَلْ دعيه يُبْــــ

دِى من هَواهُ ما استَتَرْ

أنغام : وإن أســـــاء فأغفرى

أنسام : إن الـكريمَ من غفَرْ

أنغام : مَنْ لم يَرُعْهُ ذلك الـــــ

ـحسنُ فقلبُـــــهُ حجَرْ

بيبرس : [فى انطلاق] رفقا بقلبٍ واجـــدٍ

من فرْط وجدِهِ انفطَرْ

رفقاً بطرفٍ ســـاهرٍ

أزرى به طولُ السَّهرْ

يا نفحـــةَ الزَّهْر إذا

رفَّ الندى على الزَّهَرْ

يا نسمةَ الصبح إذا الـــ

ـصبحُ من الأُفْق سَـــفرْ

يا نســـمةً هبَّت على

ورد الرياضِ فى الســـحرْ

أو داعبَت عند الأصيـــــــ

ـــل خصلةً من الشَّعَرْ

يا طلعةَ البدر على الـــ

ـمُدْلِج شَـــقَّهُ السَّفَرْ

يا منظرَ الروضـــة إنْ

تَرَعْرَعَتْ غبَّ المطرْ

يا فرحـــةَ النصر إذا

ما الجيشُ فى الحرب انتصرْ

أشمـــــومُ مذْ نزِلتها

قد أصــــبحَتْ بُرجَ القمرْ

مِنْ عينِك اســـتعارتْ الـ

ـــمَهَا لعينها الحَوَرْ

بســـــحر ألفاظكِ أو

عينيك « هاروتُ » سحَرْ

ومن لهيب وجنتيـــــ

ـــكِ يقدح الزَّنْدُ الشَّرَرْ

ليس يتيمُ الدُّرِّ إلا

مِنْ ثناياكِ الغُرَرْ

تاج الملك : [فى حزن ودلال] ويحى وويحَكَ قدهيَّجْتَ أشجانى

ماذا تحاولُ ؟ دعنى نَهَبْ أحزانِى

لم تُبْقِ فى قلبىَ الأحزانُ زاويةً

للحبِّ يأوىْ إليها المدنَفُ العانى

ومَنْ لمثلىْ بفيض الحبِّ يغمُرُها

حتى تجاوبَ تحنانا بتحنانِ

لا تحسنُ الحبَّ ثـكلى قد أضرَّ بها

كرُّ الزمان على أهلٍ وخُلّانِ

لا درَّ درُّ الصليبيِّين كم خرَّبوا

فى الأرض داراً وكم طاحوا بسُكَّانِ

كم خرَّبُوا عامرا باسم الصليبِ وهم

مُلعَّنُون بإنجيـــل وقرآنِ

والله مادمُ « مجدِ الدِّين » طُلَّ ولا

جرَّ الزمانُ عليه ذَيلَ نسيانِ

لم أنسَ ثأر أخى من سبعةٍ سلفَتْ

ما زال طيفُ أخى فى النوم يَغْشانى

بالأمس شَنُّوا علينا الحربَ تدفعُهُمْ

دوافعُ الشر من بغى وعُدوانِ

[تخبر نبراتها] واليومَ نُبِّئْتُ أنَّ القومَ قد زحفوا

على الحمى من جديد زحْفَ قرُصانِ

إنْ لم أنَلْ ترَتِى منهم فأجدرُ بى

من ثوب عُرْسِىَ يومَ العُرْسِ أكفانى

بيبرس : [فى حماس] يا لَلأسى يا للألمْ

يا للوُجُوم والحَمَمْ

أنســـيْتِنى حُبِّى وحرَّ

كت شـــعورىٰ فاضْطَرَمْ

والله ما طُلَّ لمَجْـــــ

ـــد الدين يا أختاه دَم

إن تطلُبى منِّىَ دَرْ

كَ ثأره فـــلا جرَمْ

ندبتِ للثـــأرِ فتًى

إن شبَّتْ الحربُ اقتحَمْ

فى كفِّه مهنَّـــــدٌ

ينفُذُ فى الصخر الأصمْ

لا يعرفُ الخـــوفَ له

قلبٌ إذا الخطبُ ادلهَمْ

بســـــيفه يحمى الحمى

بروحه يفــــدى العلَمْ

أنسام : [في تخابث] إن رُمْتَ مولاتىٰ فها
ت ألفَ رأسٍ

بيبرس : [في دهشة] من غنم ؟
أو ألفَ رأسٍ من عِتَا
قِ الخيل أو حُمْرِ النَّعَمْ ؟
أو هىَ من جوارح الـــ
ـــعقبانِ أو أسْدِ الأجَمْ ؟

أنغام : بل من رءوس سِـــفْلَةِ الإ
فرنجِ أوشـابِ الأمم

بيبرس :[لتاج الملك] ســـيِّدتىٰ بالله هل
هـــذا هو المَهْرُ ؟

تاج الملك : نَعَمْ

بيبرس : [في بشر وحماس] حمداً لربِّ العرش إنَّ
الدهرَ لىٰ قد ابتَسَمْ
يا مرحباً بزحفهم
إنْ صـــحَّ زعمُ من زَعَمْ

إذنْ فقَدْ سعَتْ بهم

أقدامُهم إلى العــــدَمْ

لابدَّ من حرب تقو

مُ بيننَا على قدَمْ

برأس « تاج الملك » أقـــ

ـسمْتُ وما أغلى القسَمْ

أقسمتُ بالإســـلام وال

ـقُدْس الطهورِ والحرَمْ

أنْ أُنقذَ العُرْبَ بحدِّ

السيف من شر العجَمْ

وأبتنى من هامهم

صرحا يناطحُ الهرَمْ

الجميع يخرجون • يدخل بعدهم جاسوسان يتلفتان يمينا وشمالا

الأول : [فيمايشبه الهمس] يا ويلَ مصرَ وويلَ أمة يَعرُبِ

« دِمياطُ » قد غُزيَتْ بألفى مركَبِ

فى فجر هذا اليوم تؤخذُ عنوةً

إن لم يسـلِّمْها الُحماةُ تُخَرَّبِ

الثـانى : أتسرَّبَتْ أنباء غزوتنا لها ؟

الأول : إنْ صحَّ ظنِّى فهْىَ لم تتسرَّبِ

الثـانى : لا بل تسرَّبَ بعضُها لـكنهم

في الأمر بين مصدِّقٍ ومكذِّبِ

الأول : لو يعلمُ السـلطانُ غزوتَنا لها

لسـعى إليها قبْلناَ فى موكِبِ

الثـانى : لا تذكرْ السلطانَ فهْو ملازمٌ

أشمومَ ذو جسـدٍ عليل مُتعَبِ

والقوْمُ منهمكون فى تمريضه

الأول : قد حار فى التمريض ألفُ مطبِّبِ

الثـانى : السُّلُّ والناصورُ قد فتـكا به

الأول : لم يَبْقَ من داء به لم يُنـكَبِ

الثـانى : اكتُبْ بذاكَ إلى « لويسٍ » وحدَهُ

الأول : ولأى شَىء جئتُ إن لم أكتُبِ

الثـانى : لا تَنْسَ أناَّ تاجرانِ هُنا

الأول : [ضاحكا] نعَم

ضيفانِ فى هذا المـكانِ الأَرْحَبُ

الثـانى : من بعض أهل البندقية ما لنـا

شُغُلٌ هنـا غيرُ ابتغاء المـكسب

الأول : أتظُنُّ حملتنـــا ستنجح ؟

الثـانى : كيف لا

والحاكمون بعصر أهلُ تحزُّب ؟

القصرُ فيـــه ألفُ حزبٍ سادرٍ

فى غيِّهِ . كلٌّ يدينُ بمذهبِ

الأول : إنى لأخشى الشَّعبَ

الثـانى : حقًّا ذاكَ ما

أخشاهُ . إنَّ الشَّعبَ لم يتشعَّبِ

الأول : إنَّ السوادَ هنا أشـــدُّ شكيمةً

من ألف جيشٍ فى الحروب مدرَّبِ

الثـانى : لا يُسلِمُ الحـكامَ أمرَ بلادِهِ

لـكنْ يدافعُ دونَها بالمَنْـكِبِ

الأول : إنَّ الصليبَ عليه ينصرُنا

الثـانى : نَعَمْ

حتى يعيشَ الشرقُ عبد المغربِ

الأول : [وقد سمع الصياح] ويلاهُ ما هـــذا الصياح ؟

الثـانى : [وهو يطل] طوائفٌ

شتَّى تيمِّمُ نحـــونا

الأول : فلنهْرُبِ

[جلبة بالخارج . الجاسوسان يسمعان فيفران]

أصوات بالخارج : [يكرر كل مقطع] حىٌّ على الـكفاحْ

هاتوا لنـــا الســـلاحْ

« دِمياطُ » يا عروسْ

نفـــــديكِ بالنفوسْ

فليسقطْ العدوانْ

هيَّـا إلى السلطانْ

[يمتلئ المسرح من الداخل بأهل القصر ، ومن الخارج بنفر من الشعب ، على اليمين صف وعلى الشمال صف . الشيخ عز فى صف الشعب . بين الحاضرين شجرة الدر ، وتاج الملك ، والوصيفتان ، والبهاء زهير ، وبيبرس ، وأقطاى ، والطواشى صبيح ، وأيبك ، وغيرهم] .

شجرة الدر : [فى دهشة] ما ذلك الهرْجُ ما هذا الهُتاف وما

هذا الصياح الذى قد زلزل الهرما ؟

تاج الملك : الشعبُ قد ثار حولَ القصر ثائرُهُ

إنِّى رأيت على أبوابه أمَمَا

شجرة الدر : إذنْ فقد صحّ ما قد كنت أسمعُهُ

الغارة اشتعلت والموقف احتدمَا

بيبرس : [فى حماس] نعَمْ صليبيّةٌ واللهِ سابعـــةٌ

فى مصْرَ يجرى بها النيل الأمين دَمَا

شجرة الدر : لاتُغلقُوا القصر خلُّوا القصر يدخلُهُ

من شاء لا تمنعوا عن بابه قدَمَا

الشيخ عز : الشعب يهتفُ بالسلطانِ

البهاء زهير: ها هوذا

قد جاء

الحاجب : مولاىَ نجمُ الدين قد قَدِما

[السلطان يدخل فى إعياء ظاهر يسنده رجلان ويجلسانه على العرش .
الجميع يشيرون بالتحية]

الشيخ عز : مولاى صانك رب العرش فى رغْدٍ

واحد من الشعب : أزال عنك إلى أعدائك السّقَمَا

ثان : بقيت للعُرب والإســلام قاطبةً

تحمى الحمى وتصون القُدْسَ والحْرَمَا

السلطان : تحيّــةً طيبــةً مباركَةْ

الجمهور : ألفُ تحيَّـــة وتسليم لَـكَهْ

السلطان : ماذا جرى ؟ ماسرُّ تلكَ الحرَكَةْ

أهْوَ اختلالٌ فى أمور المملَكَةْ

البهاء زهير : كلا معاذَ الله فالأمورُ

كالشُّهب فى أفلاكها تَسيرُ

الشيخ عز : لـكنْ هنـــاكَ حادثٌ خطيرٌ

السلطان : ما ذَاكَ ؟

الشيخ عز : ذاكَ أيها الأمير

جيشٌ على حـــــدودنا يُغيرُ

إن صـــحَّ ما يقوله النَّفيرُ

السلطان : [منفعلا] أثمَّ غارةٌ على حـــدودى ؟

وكيف لا أعلَمُ يا جنـــودى ؟

شجرة الدر : مولاىَ ليس الأمرُ باليقينِ

بل لم يزل فى حيِّز الظنونِ

وأنتَ تشـكو لا شـكوتَ أبدَا

ولا لقِيتَ العيش إلا رَغَـــدَا

[هنا يصل فخر الدين مع فريق من جنوده المنسحبين]

الحاجب : مولاى وفدٌ قائمٌ بالبـــابِ

السلطان : أدخلهُ ليس الوقتُ وقتَ حجابِ

[هنا يدخل الأمير فخر الدين ومعه وفد من دمياط]

السلطان : [وقد رأى فخر الدين]

مَنْ أنتَ ؟ فخرُ الدين ، مرحىً

فخر الدين : دمت يا

مَلِكَ الملوكِ مباركَ الأعتابِ

السلطان : ماذا أتى بك ؟ كيف حالُ الأمنِ فى

«دِمياطَ» ؟ أهْوَ هناكَ فى اسْتِتْبَابِ ؟

فخر الدين: [فى تلعثم]

«دمياطَ»؟ كيف أقول يامولاى ؟ قد

سقطَتْ سقوطاً فى يدِ الأوشابِ

جماعة من الحاضرين

دمياط قد سقطت ؟

جماعة أخرى : خُـــذُوا بسيوفـكم

يا قومُ

جماعة ثالثة : هبُّوا يا أســـود الغابِ

جماعة رابعة: لا مُــكْثَ بعد اليومِ

السلطان : [فى غضب] صَـــهْ لا تَنْبِسُوا

السلطان : [لفخر الدين] حدِّثْ حديث الغزو فى إسهاب

قل لى ثكلتُك كيفَ كان سقوطُها؟

السلطان : [وقد سكت فخر الدين] قل لى أجِبْ . لِمَ لا تردُّ جوابى ؟

كنْ هادئَ الأعصاب وارو حديثها

لا تَخْشَ . لستُ بثائر الأعصاب

فخر الدين : [فى استخذاء]

وصل الغزاةُ إلى الشواطئ مَوْهِناً

والليـــلُ داجٍ حالِكُ الجلبابِ

جاءتْ بهم سُفُنٌ تَئُودُ البحرَ فى

عـــدد النجوم تموجُ بالركّابِ

فِرَقٌ تقاذَفَها العُبابُ كأنهـا

كانت عباباً فوق ظهرِ عبابِ

فإذا الشطوطُ عساكرٌ ودساكرٌ

وبريقُ أسيافٍ وومضُ حِرابِ

وبدا الصباحُ على وجوهٍ خضّبتْ

من عَنْدَم أو من دمٍ بخضابِ

وكأنه من نَقْعِهِمْ وسلاحِهِمْ

ليلٌ تألق فيه ألفُ شهابِ

والشعبُ فى «دِمياطَ» سربٌ آمِنٌ

لم يحسِبوا للغزو أيَّ حسابِ

وهنا رأيت الحزمَ فى إخلائها

ورأيتُ أنَّ الحربَ غيرُ صوابِ

السلطان : [فى تهكم]

وهنا رأيتَ الحزم فى إخلائها

ورأيتَ أنَّ الحربَ غيرُ صوابِ

وتركتَ للقوم المدينةَ أرضَها

وسماءها سَلَباً من الأسلابِ

لله درُّكَ من همامٍ أروعٍ

عند الحفيظة باسلٍ وثّابِ

أولم تكُنْ معكم سيوفٌ تُنْتَضَى؟

يا لَلْهوان وضيعةِ الأحسابِ

[بعد فترة صمت]

مَنْ قائدُ الجيش المغير ؟ وما اسمه ؟

مِنْ أهْل أيةِ ملةٍ وكتابِ ؟

فخر الدين : القائدُ القدِّيسُ

السلطان : [مقاطعا] مَنْ هو ذلك الـ

قدِّيسُ ؟ ضاعتْ حرمةُ الألقابِ

فخر الدين : مَلِكُ الفرنسيِّين «ريدا»[1] نفسُهُ

السلطان : تبَّتْ يداكَ « لُوَيْسُ » أيَّ تَبابِ

سألقِّنُ النذلَ الجبانَ ورهطَهُ

درْساً بحدِّ السيف فى الآدابِ

[يلتفت لفخر الدين]

أمَّا جنودُكَ أنت فهْىَ بحاجةٍ

أيضاً إلى سيفى وسوطِ عذابى[2]

فخر الدين : [فى قوة] مولاى لا تَصِمِ الكُماةَ بوصْمةٍ

تبقى مسبَّتُها مَدَى الأحقابِ

---

(١) هذا هو اسم « لويس » السابع على نحو ما ورد فى بعض الكتب .

(٢) تروى كتب التاريخ أن نجم الدين قتل زهاء ستين من جنود فخر الدين جزاء تسليم مدينة « دمياط » وقد آثرنا أن نورد الحادث على النحو الوارد فى المسرحية .

إنِّى أعيذُكَ أن تُرَى متسرِّعاً

في الحكم قبل تعرُّف الأسبابِ

واللهِ لم أَهَبِ الغزاةَ وجمْعَهُم

ما كان «فخرُ الدين» بالهيَّاب

إنَّ اجتراعَ الموت في ساح الوغى

لأحبُّ من شهدٍ لدىَّ مُذابِ

لايَعرفُ المصرىُّ معنى الخوف أو

يرتدُّ من فزع على الأعقابِ

لكنْ حرَصْتُ على شبابى برهَةً

كى يدفع الأعداءُ أجرَ شبابى

رُوحى فدَىْ وطنى ولكنْ دونَها

إزهاقُ أرواحٍ وحزُّ رقابِ

هبْنى أجودُ بمهجتى عفواً بلا

ثمنٍ فكيف أجودُ بالأصحابِ ؟

جُنْدىْ القليلُ أمانةٌ فى ذمَّتى

إنى امرؤٌ حِفْظُ الأمانةِ دَابى

بالكثرة ابتُلِىَ الشُّجاعُ وربَّما

ضَعُفَ العقابُ أمام سِرْبِ ذبابِ

أنا لم أبعْ « دمياطَ » بل غادرتُها

لأعيدَها زهراءَ غيرَ خرابِ

لأعيدَها بيدى القويَّةِ هذه

وبحدِّ هذا الصارم القرضابِ

مولاى هذى حُجَّتى أُدْلِى بها

للحقِّ لا للخوف والإرهابِ

لك بعد ذلك مهجتى مبذولةً

فاذهبْ بها إن شئتَ أىَّ ذَهابِ

قد كنتُ أرجو أن أعيشَ لأرتوى

بدم العدا ويطيبَ منه شرابى

فإذا قَضَيْتَ علىَّ فاغسلْ أعظُمى

بدم العدا واسكُبْهُ فوقَ ترابى

السلطان : [فى اقتناع]

ما قولكم فيما يقولُ ؟ أصادقٌ

هو ؟

الشيخ عز : ليسَ فخرُ الدين بالـكذابِ

السلطان : ترضَوْنَ «فخرَ الدين» قائدَ جيشكم ؟

الشيخ عز : بالبشرِ نرضـاه وبالتَّرحابِ

السلطان : [لفخر الدين]

عبِّئْ جيوشَك واستعدَّ لغارةٍ
شعواءَ تَشفينى من الأوصابِ
قد كنتَ عندىٰ فى الحروب ولم تَزَلْ
يا فَخْرُ معدوداً من الأقطابِ

فخر الدين : [منفعلا]

اليومَ يَغسلُ عنِّى صفحةَ العارِ
ذبابُ سيفٍ صقيلِ المتْن بتَّارِ
مولاى شكراً على هذا الجميل فقد
مكَّنتَ سيفىَ من إدراك أوتارِى
قل للذى احتلَّ من «دمياطَ» شاطئَها
مهلا فقد لعبتْ كفَّاك بالنـارِ
فلتشهَد الأرضُ أفعالى بجندك يا
«لُوَيْسُ» ولينقل التاريخُ أخبارى

[هنا يصل رسول لويس]

الحاجب : مولاى ثَمَّ رســـولْ

يبغى عليك الدخولْ

السلطان : مِنْ عند مَنْ ؟

الحاجب : لم يَقُـــلِ

السلطان : ايذَنْ له فليَدْخُلِ

الرسول : [بعد أن يدخل]

تحيةٌ تُهدَى إلى السلطانِ

من سيدى «ريدا» العظيمِ الشّانِ

معى كتابٌ

السلطان : فضَّـــــهُ يا بهاء[1]

واتلُ علينـا ما به من هُرَاءْ

البهاء زهير : [بعد أن يفضّ الخطاب يقرأ بصوت جهورى]

---

(١) هو بهاء الدين زهير الشاعر المعروف ، وتروى كتب التاريخ أنه كُلِّف من قِبَل السلطان صياغةَ الرد ، والكتاب ورده مثبتات فى الكتب . ولا يخرجان عما أوردناه فى المسرحية .

مِنْ « لُوَيْسٍ » حامى حمى الصُّلبانِ

عاهلِ «السين» صاحبِ الصولجانِ

أنا حامى الإنجيل فى الأرض طرًّا

وعليه المســـيحُ قد ولّانى

أنا باسم الثالوثِ قد جئتُ أغزو

مصرَ واسمِ الصّليب والفاتـكانِ

يابْنَ أيُّوبَ قد عدوْتَ على القُدْ

س ومَنْ فيه أيَّمـا عدوانِ

إنمـا القدْسُ يا بْنَ أيُّوبَ بيتى

وهْو إرثٌ لى من قديم الزمانِ

أنتَ باسم الإسلام أفسدْتَ فى الأر

ض وباسم النبى والقرآنِ

إنَّ مصراً وإن حكامَ مصرٍ

سَبَبٌ فى تناحر الأديانِ

جئتكم غازياً بجيشٍ كثيفٍ

يتـــداعى أمَامَهُ الهرَمانِ

فتدارَكْ أمرَ البلاد وسلِّمْ

واطلبوا الصُّلحَ تظفرُوا بالأمانِ

فإذا ما أبيْتَ نصحيَ جعلتُ الدَّ

مَ يجرى فى مصرَ كالغدرانِ

سائلوا أرضَ « طارق بن زيادٍ »

كم أهنْتُ الإسلام أيَّ هوانِ

الشيخ عز : لقد طغى لقد فجَرْ

أصوات : سوف نُذيقُهُ العبَرْ

أصوات : الويلُ للَّعين

أصوات : الموتُ للغازين

السلطان : أأتممتَ هذا الخطابْ

البهاء زهير : نعَمْ

السلطان : وإليكَ الجوابْ

السلطان : [وزهير يكتب]

قد سمعنا ما قلتَ من هَذَيانِ

اترُكْ الدينَ فهْوَ للديَّانِ

ليس عندى على خطابكَ ردٌّ

غيرُ لفظين صارمٍ وسـنانِ

ليس ردِّىَ ما تسمعُ الأذُنانِ

إن ردِّى ما تُبصر العينانِ

السلطان : يختم الخطاب ثم يسلمه إلى الرسول فيأخذه وينصرف

السلطان : [الشيخ عز] يا ابن عبد السلام هات العظاتِ

هاتِ حكم الجهادِ فى الشرع هاتِ

حمِّسْ الشعبَ

الشيخ عز : [السلطان] لا يريدُ حماساً

فهو نارٌ مشبوبةُ الجَمَراتِ

الشيخ عز : [لوفود الشعب بصوت جهورى]

أيُّها الشعبُ أنتَ شعبُ « صلاح الد

ين » شعبُ المواقفِ الخالداتِ

أنتَ شطُّ الأمان فى كل خطبٍ

وعليكَ التعويلُ فى الأزماتِ

قد غزانا الغزاةُ والدينُ يقضى

بوجوب الجهاد ضدَّ الغُزاةِ

النفيرَ النفيرَ . ذلك فرضٌ
مِثلُ فرض الصِّـــيام والصَّلواتِ
كُلّنا اليومَ عسكرٌ يَشْهَرُ السيـ
ـفَ صـقيلاً على رقاب العُداةِ

أعلنوها على المنابر جهْرًا
وأطيلوا الدُّعاء فى الجُمُعاتِ
اســألوا اللهَ كلَّ نصرٍ لمصرٍ
وعليه إجابةُ الدعواتِ

السلطان : وأنتمو يا معشرَ القوّادِ
أين نرُدُّ غارةَ الأعادِى ؟
فى أىِّ بلدةٍ من البلاد ؟

السلطان : شَجَرَةِ الدُّرِّ

شجرة الدر : نعمْ

السلطان : أجيبى
تقدّمى برأيكِ المصــيبِ

شجرة الدر : إنْ كان لى رأىٌ مع الرجال
فلنعقد العزم على التِّرحالِ

نترك أشمومَ ونغشَى القاهرةْ

ونرقبُ القوم بعين ساهرةْ

فإنها موفورةُ الأقواتِ

وذاك من عوامل الثَّباتِ

ليس من الصواب أن نبْقَى هنا

فقد تطولُ مدَّةُ الحرب بنا

السلطان : [لفخر الدين]

وما الذى يراهُ فخر الدينِ ؟

فخر الدين : رأيي كرأىِ الحرَم المصونِ

نرحل كيما نُغرىَ الأعادى

ونستعدُّ كلَّ الاستعدادِ

حتى إذا جيشُ عدوِّنا حضَرْ

يكونُ قد أنهكَهُ طولُ السفرْ

فإن يكن لنا على الخصم الظَّفَرْ

فذاك كلُّ قصدنا . وإنْ ظَهَرْ

فإنَّنا فى معقِلٍ أمينِ

نلوذ بالأسوار والحصونِ

حتى إذا عزْمُ العدو انهَارا

لم نُبْقِ من جنوده ديَّارا

السلطان : [لبيبرس]

« بيبرسُ »

بيبرس : [فى حماس] مولاىَ عارٌ أيُّما عارِ

بقاؤنا خلف أسوارٍ وأحجارٍ

شُدُّوا الرحالَ إلى « دمياطَ » ننقذُهَا

بكلِّ ماضٍ رقيق الحد بتَّارِ

أين الذى يدفع الأعداء عن كَثَبٍ

ممَّنْ يصول عليهم صولة الضَّارى

لسْنا ندافعُهُمْ لكن نهاجمُهُمْ

فلا يدافعُ إلا كلُّ خوَّارِ

إنَّ القعود إذا طال الزمانُ به

يُغرى العدوَّ ويُطفى عزمَنَا الوارى

لا تُوهنوا الجيشَ بل شُدُّوا عزيمَتَهُ

النَّفخُ فى التُّرب غيرُ النفخِ فى النارِ

السلطان : [للشيخ عز]

ما رأى شيخ الشـــيوخ العزّ

الشيخ عز : نتَّفـــقُ

فما أصابَ نجاحاً قومٌ افترقوا

إذا بقينا هُنا زاد العـــدا طَمَعاً

وشكَّ فى أمرنا شعبٌ بنا يَثِقُ

وكيف والشعْبُ نيرانٌ مؤجَّجَةٌ

يكادُ من شـوقه للحرب يحْترقُ

هنا على القربِ من أشْمومَ حاضرةٌ

أخرى عليها شروط النصر تَنْطَبِقُ

أسطولنـــا رابضٌ فيها وموقعُها

يدعو إلى الأمن لا خَوْفٌ ولا قَلَقُ

والنصرُ طىُّ اسمِها فامضُوا على عجل

بنـــا إليها

السلطان : [بصوت حازم] إلى المنصورة انطَلِقُوا

أصوات : هيَّا إلى المنصورَةْ هيَّا إلى المنصورَةْ

الجمهور : [ينشد هذا النشيد]

هيَّا إلى المنصـــورةْ قوَّاتُنا منصـــورةْ
أعـــداؤنا مقهورةْ هيَّا إلى المنصـــورةْ

يا شعبَ وادى النيلْ يا فخرَ هذا الجيـــل
يا شِبْهَ أُسْـدِ الغِيلْ هيَّا إلى المنصـــورةْ

نحمِى حِمَى الأوطانْ بالســيفِ والإيمانْ
والروح والأبدانْ هيَّا إلى المنصـــورةْ

نحمى حِمَى الإســلامْ والنيـــلِ والأهرامْ
بالعزمِ والإقـــدامِ هيَّا إلى المنصـــورةْ

هيَّا إلى المنصـــورةْ قوَّاتُنا منصـــورةْ
أعـــداؤنا مقهورةْ هيَّا إلى المنصـــورةْ

[ســتار]

الفصل الثانى

المنظر : بهو فى قصر السلطان بالمنصورة ٠ الوقت صباح
الجاسوسان يدخلان يسترقان الخطو

الأول : [فى همس] اليومَ نجمُ الدينَ يَقْضِى أو غَدَا
نَفَسٌ كخيط العَنْكَبُوتِ تردَّدَا

الثانى : بشراكَ فلتَذْهَبْ إلى الشيطانِ يا
سلطانَ مصرَ

الأول : لقد عَصَى وتمرَّدَا
عرضَ الأمانَ عليه مولانا فلم
يقْبَلْهُ بل أرغى اللعينُ وأزبدَا

الثانى : لِمَ يقبلُ التسليمَ ؟ إنَّ جنودَهُ
صَمَدَتْ وكنتُ أظنُّها لن تصمُدَا

الأول : الحربُ ما زالتْ سِجالا بيننا
لكنْ أرى فى أفْقِنا نجماً بدَا

الثـانى : ما ذاك ؟

الأول : أعنى موْتَهُ فالجيشُ إنْ

يُفجَعْ بقائده وَهَى وتبـــدَّدا

الثـانى : لـكنْ سوادُ الشعب حىٌّ لم يَمُتْ

هيهاتَ جمرةُ عزمه أنْ تخمُـدا

الشعبُ يضرب بالسيوف وبالقَنا

بل بالصخور وبالفئوس وبالمُدَى

الأول : ويدبُّ فى جُنح الظلام ويختبى

مثل الأفاعى لا تحس له صـدى

الثـانى : ولقد رأيت البعض يقذف باللظى

ومن السطوح يصبّ جمرا موقَدا

الأول : هوِّنْ عليك فإن موتَ مليـكِه

معناه أنَّ النصرَ مدَّ لنـا يدا

الثـانى : أملٌ. وأرجو أن يُصيبَ. فإن يَطِشْ

ضاعتْ لعمر أبيك حملتُنا سُـدَى

لا تنسَ جَوْلاتِ المماليك التى

وقَفَتْ تقـــدُّمَ جيشنا فتجمدا

الأول . ويلاهُ قد أبصرتُ بين صفوفهم

بالأمس مملوكاً وسيماً أمرَدَا

شاهدتُهُ كالليثِ فى ساح الوغى

يَسْقى الفرنسيِّين أكوابَ الردى

ومن العجيبة أنّنى شاهــــدتهُ

يُحْصِى الضحايا فى الوغى متعمِّدَا

يَبْرى الرءوسَ بسيفه فإذا هَوَتْ

حَسبَ الرءوسَ على الصعيد وعدَّدَا

ماذا يريدُ من الحساب؟ لعلَّهُ

يتعلَّمُ الأرقام فى هام العـــــدا

الثانى : « بيبرسَ » تَعْنى؟ ويلَهُ منى فقد

بلغَ المَدَى فى الفتك بل جَازَ المدى

أبصرْتهُ بالأمس يفتك وحـــدَهُ

بثلاثة من أسرتى أو أزيدَا

الأول : ماذا تُعدُّ له ؟

الثانى : كميناً باســــلاً

من جيشنا فى جنح ليل أســوَدَا

وأقول « تاج الملك » كانت ها هنا

تمشى وما رَجَعَتْ فيذهبُ مفردا

الأول : إن الفتى صبٌّ بهـا متَولِّهٌ

في الحب يُرخصُ روحه فيها فدى

الثـانى : فإذا مضى للبحث عنها مفردا

وجَدَ الـكمين له هناك ترصَّـــدَا

وبذاك يأمَنُ جيشُنَا من شرِّهِ

الأول : ونريحُهُ من حبِّها طولَ المَدَى

الثـانى : [فى سخرية] كيما ينامَ النومةَ الـكبرى فلا

يشكو الصدودَ ولا يبيتَ مسهَّدا

الأول : افعلْ تعهَّدك المســـيح بنفحة

منه وبارك فى خطاك وســـدَّدا

الثـانى : هيَّا بنـا إنى لأسمـــع صيحةً

فى القصر

الأول : عَلَّ النَّزْعَ فيه قد ابتدا

[يخرج الجاسوسان ، وتدخل شجرة الدر فى حسرة وتوجع]

شجرة الدر : ويلاهُ جلَّ الخطبُ طاش رجائِى

لم يُجْدِ «نجمَ الدين» أىُّ دواءِ

انْهفِى عليـــه وهْو فى غيبوبةٍ

يَهذِى بذكر الحرب والأعداءِ

يهذى بذكر النصر فوق فِرَاشِهِ

ويقولُ : جيشى وهو فى إغماءِ

أيموتُ والهيجاءُ دائرةُ الرَّحَى

وجنودُهُ تصْـــلَى لظى الهيجاءِ ؟

انْهفِى على الرُّبَّان يلفظُ رُوحَه

والفُلْكُ بين المـــاء والأنواءِ

[يدخل السلطان وهو يترنح بين أقطاى وعز الدين أيبك وهما يسندانه]

شجرة الدر : [فى ثورة] « أقطاىُ عزَّ الدين » فيم أتيتُما ؟

عُودَا بِهِ عُودَا بلا إبطاءِ

أقطاى : حاولتُ سيدتى وحاوَلَ « أيْبَـكٌ »

لـكنْ أبى السلطانُ أىَّ إباءِ

أيبك : نَفَضَ الفِراشَ وقام يهذى هاتفًا

بالعُرْبِ والإســـلامِ رغْمَ الداءِ

شجرة الدر : [فى لهفة والسلطان فى غيبوبة]

أين الهُتافُ ؟ وفيمَ طال سكوتهُ

« أقطاىُ » أدركنى بجَرعة ماء

السلطان : [هاذيا فى تلعثم]

إنّى بخيرٍ يا فتـــاتى فاهدئى

شجرة الدر : [وهى تأخذ بيده]

ارجعْ فديتُكَ

السلطان : لستِ أنتِ فدائِى

لـكنَّنى أنا افتديكِ وأفتـــدِى

أرضَ الحمى بحُشاشتى ودمائِى

شجرة الدر : [فى رفق] عُـــدْ معى عُـــدْ يا حبيبى

حلَّ ميعـــــــادُ الطبيبِ

السلطان : أنا لا أبغى طبيبـــاً

أينَ ميْـــــــدانُ الحروبِ

[بعد صمت] « إن لم أَصُنْ بمهنَّدى ويمينى

مُلْـكى فلستُ إذنْ بنجم الدين »

« تحمى الممالكُ ربَّها أما أنا

فالمُلْكُ أحميــــه ولا يحمينى »

شجرة الدر : مولاىَ حسـبُكَ فارجعْ
قد حان وقتُ الرجـوعِ
رفقاً بنفسـك رفقاً
ورحمـةً بدمـوعى
ما أنتَ ملْكٌ لفـردٍ
بل أنتَ ملْكُ الجميـعِ

السلطان : هاتُوا جَوادىَ وهاتوا مِغْفَرِى هاتوا
لم يَبْقَ فى جسدىَ بَرْحٌ وعلَّاتُ
إنى برِئتُ وسهْمُ الموت أخطأنى
ما متُّ لـكنْ جنودُ الشِّركِ قد ماتوا

شجرة الدر : مولاى رفقاً قد أطلتَ هوانى
وأثرتَ فىَّ لواعجَ الأحزانِ
بالله لا تُثقِـلْ علىَّ ولا على
جثمانك العانى المزيلِ الفـانى
يا ليتَ شعرىَ ذاك صحْوُ الموت أمْ
صحوُ الشفاء بقـدرة الرحمنِ ؟
هل أنتَ واعٍ ما أقولُ فعاملٌ
بنصيحتى أم أنت فى غِشْيانِ ؟

السلطان : لا لن أعودَ إلى فِراشىْ تاركاً

جندىْ يعانى الموتَ فى المَيْدانِ

شجرة الدر : هوِّنْ عليك فإن جندكَ ظافرٌ

رجَحُوا على الأعداءِ فى الميزانِ

السلطان : [باسما] حقًّا ؟ أشالَتْ كِفَّةُ الأعداء يا

لَيْلَى وكِفَّةُ مصرَ فى رجُحانِ ؟

أين الفرنسيُّون ؟

شجرة الدر : قد عادوا إلى

أوطانهم بالخزى والخِذلانِ

السلطان : هل عاد « فخرُ الدينِ » ؟

شجرة الدر : عاد مظفَّراً

السلطان : لِمَ لم يمرَّ بسُدَّة السلطانِ ؟

شجرة الدر : ما كان فى الإمكان ذاك وأنت فى

هذا الضنا ما كان فى الإمكانِ

السلطان : « دمياطُ »

شجرة الدر : قد عادت إلى أربابها

السلطان : « ولُوَيْسُ » أين مضى ؟

شجرة الدر : إلى الشيطانِ

السلطان : والقدسُ ؟

شجرة الدر : باقٍ ما يزال زمامُهُ

في قبضـــة الإسلام لا الصلبانِ

السلطان . لله ما أحلَى حَـــديثَكِ موقعاً

أفتُقسمين بأغلظِ الأَيْمـانِ ؟

شجرة الدر : مولايَ زال الداء عنك إلى العدَا

ما اعتدْتُ قول الزور والبهتانِ

السلطان : [وهو يسقط ميتا] الآن أبسِمُ للمنيَّـــة فاجعلُوا

من أدْرُعى ومغافرى أكفانِى

شجرة الدر : [وهى تكب عليه فى حسرة ونشيج]

زوجيْ . حبيبيْ . سيدىْ . مالكىْ

أقطاى : [بعد أن يتحسسه] قَضَى

فتذرَّعى بالصـــبر والإيمـانِ

عز الدين : [وهو يبكى] سبحان من يرثُ الوجودَ وما حوَى

أقطاى : « « هذا قضاءُ الله فى الإنسان

شجرة الدر : [وهى تبكى]

بأبى وأمّى أفتديكَ من الردى

لو كان يَفْدِي الميّتَ الأبوانِ

أدعوكَ « نجمَ الدين » مالكَ صامتاً ؟

لِمَ لا تجيب بصوتك الرنانِ ؟ .

عز الدين : [وهو يبكى]

فى جنة الرِّضـوان يا مولاى ما

مثواكَ إلا جنـةُ الرضـوانِ

أقطاى : « « يا ضيعةَ الإسـلام بعدكَ والحمى

شجرة الدر : [فى حماسة وانتفاضة]

لا لن يضيعا . فيمَ تنْتحبانِ ؟

كُفاً عن الدمع الهتون وسفْحِهِ

هيهاتَ تُبصرُ إن بكتْ عينانِ

إنِّى سأمسحُ عَبْرتىْ من مقلتىْ

وغداً تسيلُ عليه كالطوفانِ

لا كنتُ زوجةَ عاهلٍ إن لم أكن

أرسى من الأهرام فى الحَدَثانِ

لا كنتُ إنْ سلب المصَابُ نُهَاىَ أو

ملكتْ لواعجُهُ علىَّ جَنانِى

شجرة الدر : [السلطان]

أعززْ علىَّ بأن تودِّعَ ثمَّ لا

تبكيكَ عينُ العارضِ الهتَّانِ

أعززْ علىَّ بأن تُوارَى فى الثرى

سرًّا ولا يدرى بك الثقلانِ

شجرة الدر : [لأقطاى وأيبك]

أقطاىُ عزَّ الدينْ عونَكما فَبِى

من لَوْعتى وأنوثتى ضَعْفَانِ

لا تخذُلانى فى الشـدائدِ إننى

فى حاجةٍ قصوى إلى الأعوانِ

أقطاى : ابيكِ مولاتىْ مُرِينَا تَظْفَرى

بالطاعة العمياءِ والإذعانِ

شجرة الدر : [فى جد] إن رمتُمَا نصرَ العروبة والحِمى

فعليكما بالسّـتر والكتمانِ

الصالحُ السلطانُ حيٌّ لم يمت

أفهمتُما ما رمتُ ؟ هل تعدانِي ؟

أيبك : لكِ وعدُ حرٍّ سوفَ نكتمُ موتَهُ

فالشرُّ كلُّ الشرِّ فى الإعلانِ

شجرة الدر : بل تقسمانِ الآنَ

أقطاى وأيبك: أقسم جاهـــداً

باسم الإله ومُحْكَمِ القرآن

شجرة الدر : إنْ ذاع هذا السرُّ كان لوقعه

أثرٌ يَفُلُّ عزائم الفُرسانِ

وتنمَّرَ الذؤبانُ من أعـــدائنا

ناهيـــكما بتنمُّر الذؤبانِ

أقطاى : لا لا تخافى وافعلى ما شئتِـــهِ

ترعاك عينُ الواحــــد الديَّانِ

وعليكِ أن تُمضِى الأوامرَ باسمِهِ

شجرة الدر : أتقنتُ ذلك غايةَ الإتقانِ

«توران» ربُّ العهد فى « كِيَفى »[1]

أيبك : إذنْ

فليَمضِ نجَّابٌ إلى « تورانِ »

شجرة الدر : أتبايعانِ له ؟

أقطاى وأيبك: أجَـــلْ

شجرة الدر : فلتُقْسِمَا

أقطاى وأيبك: أقسمتُ باسم مكوِّن الأكوانِ

شجرة الدر : بوركتُمَا . والآنَ ما تريانِ فى

هذا الشهيدِ الطاهرِ الجثمانِ ؟

أقطاى : نَمضى به فيـكونُ فوق فراشِـهِ

ووسادِهِ كالنـائم الوسنـانِ

حتى إذا الليـل البهيمُ دجَا وقد

« أخَذَ الـكرى بمعاقد الأجفانِ »

رُحنا نوارى جسمهُ فى الترب

---

(١) هكذا تـكتب وتضبط كما وردَ فى القاموس المحيط .

أيبك : بلْ

في الخـلد بين الحور والولدانِ

شجرة الدر : هيَّا على اسم الله واسم رسوله

لا تُبطئا . هيَّا بغير توانِ

[هنا يخرج أقطاى وأيبك بالجثة من المسرح ولا يعودان]

شجرة الدر : ربَّاهُ قوِّ أنوثتى وانظر إلى

ضعفى بعين عنايةٍ ترعانى

العِبْءُ فى عُنُقى ثقيلٌ حملُهُ

ما للنساءِ بكلِّ ذاك يدانِ

[يدخل صبيح وقد لمح الجثة على كتفى أقطاى وأيبك]

صبيح : [وهو يبكى]

« أقطاى عزَّ الدين » يا

وجهَ الغرابِ الأسحمِ

ما تحْملانِ ؟ حملتما

مولاىَ نجمَ الأنجمِ

شجرة الدر : [تلطمه]

لا تزعجْ الدنيا بصوتك . صَهْ ولا تتكلَّمِ

مـــولاك حىٌّ لم يمتْ

أفهمت أم لم تفهمِ ؟

صبيح : [فى ذهول] مـــولاىَ حىٌّ لم يمتْ

لكِ ما أردتِ تحـكّمى

سمعاً ســـأكتُمُ أمرَهُ

شجرة الدر : والمـــوت إن لم تـكتم

ماذا أتى بك ها هنـــا ؟

صبيح : يا ليتنى لم أقــــدَمِ

إنى آتيتُ مبشِّراً

بالنصر من رب العبـــادِ

قد جئتُ مولاتىَ لأفـــ

ـتَحَ باب سجنى للأعادى

عـــدَدُ الأُسارى كلَّ يو

م فى نمـــوٍّ وازديادِ

قد جاء مـــولانا بهم

كالنمَّـــل عـــدًّا والجرادِ

معهم وفودٌ من ســـــــوا
د الشعبِ

شجرة الدر : بُورِكَ في الســـواد
وأين شيخُ الشيوخ العزُّ

صبيح : ينتظرُ
في معشر من سواد الشعب قد حضرُوا

[هنا تسمع الهتافات الآتية] :

تحيـا الأوطانْ عاش السلطانْ
المـوت للغـازينْ من سيف نجم الدين
النصرُ لمصرْ ولمصر النصرْ

شجرة الدر : فليدخلْ الشيخُ

صبيح : أقبلْ لا عدِمتُك يا
شيخَ الشيوخ

الشيخ عز : [يدخل ومعه الوفود] سلامُ الله يا شَجَرُ
جئنا إلى ساحة السلطان نلثَمُها

شجرة الدر : [للشيخ عز]
... أقبل على الرُّحب

شجرد الدر : [الوفود] مرحى أيُّها النفرُ

الشيخ عز : جئنا إلى حَرَم السلطان فهْوَ لنا

بيتٌ نَحُجُّ إليه ثم نعتمرُ

إنا بصارمِ « نجم الدين » نضربُ فى

ساح الوغى

شجرة الدر : بل بعزم الشعب ننتصرُ

كم تشتهى مقلةُ السلطان رؤيتَكم

لولا الضّنا عَاقَهُ

الوفد : لامسَّهُ ضررُ

الشيخ عز : إنا ظفِرنا بأسرىَ من كبارِهم

جئنا نقدِّمُهمْ

شجرة الدر : يهنيكم الظَّفَرُ

ما أشجعَ الشعبَ ما أذكى حماسَتَهُ

الشيخ عز : الشعبُ نار على الأعداء تستعرُ

أهل الكنانة يشْقَى المعتدونَ بهم

كأنهم فى جنوب المعتدى إبَرُ

شجرة الدر : إن الشجاعَة تجرى فى عروقهمو

جرْىَ الدماء عليها القوم قد فُطِرُوا

الشيخ عز : أقسمتُ أنَّ الفرنسيِّين مذ دخَلُوا

لا يهدءون ولا يصفو لهم كدرُ

كم هوَّمُوا فأقضَّ الشعبُ مضجعَهُمْ

لا سيما فى الدجى والليل معتكرُ

أحدالوفود: إن السماء لتَهْمِي فوقَ أرؤسهم

حجارةً . كلُّ رأس فوقه حجَرُ

ثان : فئوسَنا فى دم الأعداء قد ولِغَتْ

لا فأس إلا بها من لونه أثَرُ

ثالث : أما السطوحُ فقــد كانت معاقلَنا

ينصبُّ منها على أعدائنا الشرَرُ

من كلِّ سطح شواظٌ سحَّ وابلُهُ

كأنه فوق هامات العــدا مطرُ

رابع : والنيلُ ما كان إلا من ذخائرِنا

كأنه فى يدينا صارمٌ ذَكَرُ

ما فاضَ إلا قطعْنا جسره فإذَا

بالمـاء من حولهم كالسيل ينهمرُ

خامس : كم أغرق النيلُ للأعداء من مُؤَنٍ

وراح يطغى فـــلا زرع ولا ثمرُ

الشيخ عز : تفنَّنَ الشعب فى حرب العدو فلا

يكادُ يدركُ ما يأتى به بشَرُ

سادس : [وهو يضحك ويمثل بيديه]

أدخلتُ رأسىَ فى بطيخةٍ وطَفَتْ

فوقَ العباب وجسمى فيه مُستتِرُ

وحين جاء فَرَنْسىٌّ ليأخــذَها

تركتُهُ وهُوَ فى الأمواج يُحتَضَرُ[1]

امرأة من الوفد :

أما النساء فلم تترك بعــــولتَها

ترجَّل الغيـــدُ لا دلٌّ ولا خَفَرُ

صار الخضاب بأيدى الغانيات دماً

كأنما كلُّ أنثى فى الحمى نَمِرُ

شجرة الدر : نعم صدقتِ فبنتُ النيل مفخرةٌ

للنيـــل

المرأة : بل بك أنتِ النيل يفتخرُ

شجرة الدر : أين الأُسارى ؟

---

(١) هذه الحكاية مأثورة لا من نسج الخيال .

الشيخ عز : كثيرٌ ما لهم عــــدَدٌ

لو يُحصَرُ الرملُ فى البيداء ما حُصِرُوا

لو أنهم حضروا ضاق الفضاء بهم

لـكنْ أولئك قـــوَّادٌ لهم خَطَرُ

[هنا يسوق الشعب الأسارى أمام شجرة الدر]

شجرة الدر : « صبيحُ » أنت عليهم قيِّمٌ ولهُمْ

حقـــوقُهم

صبيح : [لنفسه فى تهكم]

عن ضياع الحـــقِّ أعتذرُ

تظنُّ سيدتى أنى سأنْزِلُهُم

بالخُلد حيثُ الجنى والظِّلُّ والثَّمَرُ

[هنا تنصرف شجرة الدر والوفد والشيخ عز ويبقى مع
صبيح حارسان فقط]
[صبيح يأتى بكل فرد من الأسارى أمام الجمهور ويخرجه
من باب آخر كأنه يحجزهم فى حجرة]

صبيح : [للأول وهو يصفعه]

أَقدِمْ على «صبيحِ» بوجهـــك المليحِ

صبيح : [للثانى وهو يصفعه]

وأنتَ بلِّغْ سلامى إلى «لويسَ» الهمامِ

صليبح : [للثالث وهو يصفعه]

خذْ هـذه التحيَّةْ عاطـرةً زكيَّةْ

صليبح : [للرابع وهو يصفعه]

أنت شرّفتَ الديارَا يا شبيهاً بالعـذارَى

صليبح : [للخامس وهو يصفعه]

ما اسمُكَ يا بنَ الـكرامِ

الأسير : « أرمانُ »

صليبح : عاشت الأسامِي

صليبح : [للسادس وهو يبصق عليه]

اتفُو على الجبانِ يا سحنة الغـوانِي

صليبح : [للسابع وهو يركله]

خذ ركلةً من قدَمِي تَشفيك عند السَّقَمِ

صليبح : [للثامن : يصفعه]

وأنتَ يا همـامْ خـذ ذلك الوسامْ

صليبح : [للتاسع : يصفعه]

وهـذه يا صاحِ تحيةُ الصباحِ

صليبح : [للعاشر : يصفعه]

إنى أُحيِّى ضيفِى بصفعةٍ من كفِّى

أحد الأسارى : [الأخير]

أهكذا تعـــامل الأسارى

مصرُ التى قـد حمت الأمصارا ؟

صبيح : [وهو يلكمه]

اخسأ كفـــاك ذلّةً وعارًا

أنكَ جئتَ تبتغى استعمارا

فيمَ قدِمتُمْ هـــذه الديارا ؟

أغضبْتمُ الإســـلام والنَّصارى

صبيح : [بعد فترة]

هيَّا إلى « دار ابن لقمان » معى

نَلْهُ بهـــا هنيهـــة ونرتعِ

هيا معى وحقِّ ذمَّة العَـــرَبْ

لأعطينَّـكم دروساً فى الأدبْ

[هنا تدخل أنغام وأنسام وقد شاهدتا المنظر الأخير من إهانة الأسرى]

أنغام : صبيحُ ما تفعـــلُ يا صبيحُ

رفقـــاً بهم

أنسام : ما ذلك التبريحُ ؟

صبيح : [فى تهكم]

أسرفتِ فى العطف وفى الحنانِ

غانيةٌ تحنو على غـــوانى

لا تعطفـــا يوماً على فَرنْسِى
وإنْ يكُنْ مثلَـكُما فى الجنسِ

[ينصرف صبيح والحارسان وتبقى أنغام وأنسام وحدهما]

أنغـام : حروبٌ تُشَبُّ ونحن الوقــــودْ
أليس لتلك المآسى حـــــدودْ ؟

أنسام : لهُ الحمــــدُ ربِّى على كلِّ حالِ
فقد خاب فألُ العـــــدو اللدودْ
لقــــد أثبتَتْ مصرُ للغرب أنَّ
لمصرَ مكانتها فى الوجــــودْ
وأن ثَرَاهَا حمىً لا يداسُ
كما لا يداسُ عرينُ الأســودْ

أنغـام : بربِّك لا تعجـــــلى بالفخارِ
فما زالتْ الحرب تطوى الجنودْ
« فيومٌ علينا ويومٌ لنـا »
ويوماً نذادُ ويوماً نذودْ

أنسام : وسلطانُ مصرَ طريح الفِـــراشِ
أنغـام : وليسَ يُعـادُ ولسنا نعـــودْ

أنسام : لقـــد نصبَتْ زوجُهُ حولَهُ

سياجاً ولـكنه من حديدْ

أنغـام : وما شأن « بيبَرس » ؟

أنسام : صالَ وجالَ

وخَاضَ لظاها بعــــزمٍ شديدْ

لقـد كان يومُ اعتداء « فرنسا »

على أرضنا عنده يومَ عيدْ

أنغـام : بروح الغَيُورِ على أرضِهِ

يصولُ وروح المحبِّ العميدْ

أنسام : وأحسَبُ روح المحبِّ لديه

أشـــدَّ

أنغـام : تُرَى هـل يفي بالوعـــودْ ؟

أيدفع « بيبرس » مهرَ العروسِ

كما قدِّرَ المهرُ ؟

أنسام : بل قد يزيدْ

أنغـام : [في خبث] سيقترنان ولو لم يُؤَدِّ

لها المهـــرَ

أنسام : هذا كلام جديدْ

أنغام : [فى خبث]

نعم فهى أمستْ تهيمُ غـــراماً

« بيبرس » تبدى اسمـــه وتعيدْ

لقـــد أصبحتْ إن صَحَتْ باسمه

تفــوهْ وتتلوه عند الرقـــودْ

كأن إسم « بيبرس » فى شفتيها

وفى مِسمعيها لعمـــرىَ نشيدْ

وترقبُ طلعتَهُ من قريبٍ

وتنشِقُ أخبارَه من بعيدْ

ألستِ ترَيْنَ ثياب الحـــدادِ

وقد أصبحَتْ فى احمرار الورودْ ؟

أنسام : [ضاحكة] لقـــد سرَقَتْ حمرةَ الشفتين

أنغام : [ضاحكة] بل اصطبغَتْ باحمرار الخـــدودْ

[هنا تدخل تاج الملك]

تاج الملك : أنغـامُ

أنغام : مرحى يا مُنَى أنغـــامِ

تاج الملك : أنسامْ

أنسام : أهـــلاً يا هـــوى أنسامِ

تاج الملك : هل ثمَّ من خـــبر عن الحرب التى

دارَتْ طحونَ رحىً على الأجسامِ ؟

أنغـام : النصرُ باتَ لمصرَ يبسِمُ ثغـــرُهُ

أنسام : مثلَ ابتسامة ثغـــرِكَ البسَّامِ

تاج الملك : هل ثمَّ عن « بيبرَس » من خبر ؟

أنغـام : أَجَـــلْ

أخبارُهُ تسرى سُرَى الأنسامِ

يروى المقطَّمُ عنه كلَّ عشيَّةٍ

خـــبراً يرنّ بمِسمع الأهرامِ

تتلقَّنُ الآســـادُ فى أجماتها

عنه دروس البأس والإقـــدامِ

أنسام : عهـــدى به حرًّا يفى بذمامه

تاج الملك : هيهـــات ينقضُ موثقى وذمامى

لهفى عليه لقـــد غدوتُ وطيفُهُ

يعتادُنى فى يقظتى ومنـامى

ربَّاهُ ما هـــذا الشعورُ ؟ لعلَّهُ

عطفٌ عليهِ

أنغـام : [فى خبث] بل شديدُ هُيامِ

أنسام : [فى خبث]

بادلتِهِ بعـــد النِّفـــار صبابةً

بصبابةٍ فعدلْتِ فى الأحكامِ

أنغـام : [فى خبث]

رمتْ المهاةُ تصيدُ صِرغام الشرى

فإذا المهـــاةُ فريسةُ الضرغامِ

تاج الملك : إنى لأخشى أن أكون شطَطْتُ فى

طلب الفِدا فقضى شهيدَ غرامى.

أنسام : بالله لا تخشَىْ عليه الحـــربَ

أنغـام : لا

يُخْشَى على أسَدٍ من الآجامِ

[هنا يدخل بيبرس]

تاج الملك : [فى لهفة] « بيبرسُ »

بيبرس : [وهو يعانقها] مولاتى الأميرَة

تاج الملك : [وهى تعانقه] مرحباً

بك يا فتى الهيجاء عُـــدْ بسلامِ

أنسام : [وهى منصرفة]

هيَّـــا بنـــا نودِّع

أنغـام : [وهى منصرفة]

ليس لنـا من موضع

أنسام : [وهى منصرفة]

دمى المكان يلتـــقى

فيه الحبيبانِ

أنغـام : [وهى منصرفة] دَعِى

تاج الملك : عوْدٌ سعيدٌ . هل رجَعْتَ مظَفَّراً

بيبرس : النصرُ أقربُ من سناكِ أمامِى

إنى رجَعتُ لأستمِدَّ الروح من

تلك العيون فإنهـــا إلهـامى

عيناكِ مُلْهِمتَاىَ فى ساح الوغى

معنى اقتحام عبابهـــا المترامى

عيناكِ نورى حين يُغطشُ ليلها

تخطو على فَلَقَيْهما أقـــدامى

وإذا ذكرتُك والرماحُ تنوشنى

يَلْتَامُ جرحى وهُو أحمـــرُ دامى

وإذا ذكرتُك والسيوفُ نواهلٌ

منىِّ فَلَلْتُ غرار كلِّ حُسامِ

وإذا ذكرتُكِ رحتُ أفتكُ بالعدا

فتكاتِ أُسْدِ الغاب بالآرامِ

تاج الملك : « بيبرسُ » لو أَستطيع صُنْتُكَ فى الحشا

فنزلتَ بين جوانحى وعظامى

بالرغم منىِّ أن تخوضَ غمارها

هدفاً لوقع أسنةٍ وسهامِ

لكنه وطنٌ وثأر أخ مضى

لم تُنسِنيهِ سبعةُ الأعوامِ

وطنٌ عزيزٌ حول شاطئه العدا

حلُّوا حلولَ الدود فى الأكمامِ

لولا العروبة ما سخوْتُ على الوغى

بشبابك الغالى سخاء كرامِ

بيبرس : [وهو يعانقها]

نفسى فداؤكِ من لَباة عرينةٍ

وفداه حرمة مِصرَ والإسلامِ

[هنا يدخل جماعة من الشعب والمماليك يحملون الأمير فخر الدين الجريح[1]]

---

(١) قيادة فخر الدين للجيش وموته فى الحرب حادثان تاريخيان .

صياح بالخارج :

طوبى لفخر الدين   الموت للغازين

ويل لأهل السين

في ذمة الرحمن   في جنة الرضوان

النصر للسلطان

[يسمع الصياح فتهرع « شجرة الدر » « وأيبك » « وأقطاى » وغيرهم من النصر ومنهم « البهاء زهير »]

أقطاى : [في فزع]

ماذا دهى ليثَ الشرى ؟

أيبك : [في فزع]   ماذا به ماذا جرى ؟

شجرة الدر : [في حسرة]

مَنْ ذاكَ فخرُ الدين يلـ   ـفظُ روحَهُ . ماذا أرى؟

أحد الجنود: القائدُ المغوارُ زلَّ   جواده وتعثَّرا

مِن بعد ما صدَّ العدوَّ   بعزمه فتقهقرا

ورأى العدوُّ سقوطَهُ   فوق الثرى فتنمَّرا

ورماه رامٍ منهمو   غدراً وولَّى مدبرَا

فخر الدين : [وهو في النزع ينظر لشجرة الدر]

مَنْ أنتِ ؟ مولاتي ؟ أسوتِ جراحِي

وبعثتِنِي من عالم الأرواح

مِنى على السلطانُ ألفُ تحيَّةٍ

من نفـــح غاليةٍ ونشر أقاحِى

قـــولى له مولاكَ باع حياتَهُ

فى نُصرة الإســـلام بيعَ سماحِ

قــــولى له غسلتْ دمائى زلَّتى

ومحـــا ذنوبىَ من جراحىَ ماحِ

اللهُ يعـلمُ ما ونَيْتُ عن الوغى

يوماً ولا قصَّرتُ عند كفاحِ

ولئن قضيْتُ فقـد قضَيْتُ لبانتى

وخَضَبْتُ من دم قاتلىَّ سلاحى

روَّيتُ من دمهم غِرار مهنَّدى

وشربتُهُ بالـكأس شربَ الراحِ

يأيهـا الموتُ اقتربْ منى فمـــا

أشهى المنايا عند جندَ صــــلاحِ

يا مصرُ إنَّ الموتَ فيكِ شهـادةٌ

نَفْنَى ويبقَى وجهُ مصرَ الضاحى

حسبى عزاءً أن تُوارىَ أعظمى

فى تُرب مصرَ العاطر الفــواحِ

خُطُّوا ضريحى فى ثراها وادفنوا

فيه معى سيفى وسُمْرَ رماحى

[فخر الدين يلفظ النفس الأخير ، شجرة الدر تنحنى عليه]

شجرة الدر : [فى حسرة]

سكتَ الليثُ الهمامْ

أحد المجتمعين : [فى حسرة]

فعلى الليث السلامْ

ثان : اذرفوا الدمع الغزيزْ

ثالث : هو بالدمع جديرْ

البهاء زهير : [يؤبنه]

لئن جندَلَ الأعداءُ منا غضنفرًا

فما أكثر الأسْدَ التى تكلأُ الشَّرىَ

ألا أيها الليثُ الجريح تحيَّةً

عزيز علينا أن يوارَيك الثَّرَى

رويدَكَ حتى تُحرزَ النصر للحمى

وتحمىَ للإسلام سيفاً ومِنْبَرا

لقد فقدَتْ مصرٌ بفقدك أمةً

فقد كنتَ للأوطان وحدك عسكَرا

أتسقطُ فى الحرب العَوان مضرَّجاً

وما عرفتْكَ الحربُ إلا مظفَّرا

على روح « فخر الدين » ألفُ تحيَّةٍ

فقــــد كان دِرْعاً للبلاد ومغْفرَا

وما مات إلا بعدَ أن أنقذَا الحمى

وهيَّأَ للإســــلام نصراً مؤزَّرا

ألا لا تُريقـوا الدمع حولَ رُفاتِهِ

فإنى رأيتُ الدمع للضعف مظْهَرا

ولـكنْ خذوا الدَّرْبَ الذى كان سائراً

عليه إلى أن يبلُغَ العَــلَمُ الذُّرَا

ويطْهُرَ شطُّ النيل من شبح العدا

فقد دنَّسوا هــذا الأديم المطهَّرا

أحد الحاضرين :

أجــدْتَ فى شعركَ يا بهاءْ

ثان : أحسنتَ كلَّ الحسن فى الرثاءْ

ثالث : أنصفْتَ يا « زُهيرُ » « فخرَ الدينِ »

شجرة الدر : كُفُّوا عن الرثاء والتأبينِ

وجهِّزوا هـــذا الرفاتَ الطَّاهرا

ووسِّدوهُ تُرْبَ مصرَ العـاطرا

يُـكَفَّنُ القـــائدُ فى لوائِهِ

وجيشُهُ يسيرُ من ورائِهِ

[فى أثناء ذلك تحمل جثة فخر الدين خارج المسرح]

شجرة الدر : يأيها القـــوادُ قوَّادَ الحمى

كفُّوا مـــدامعكم وفضوا المأتمـا

لا تُنْسنا الأحزانُ أنَّ عـــدوَّنا

ما زال فى شـــط البلاد مُخيِّما

القائد المغـــوار فاضت روحُهُ

وأقام فى دار الخـــلود منعَّما

والجيشُ جيشُ النيل يطلبُ قائداً

منــكم لينقضَ فى الأمور ويبرمَا

إن لم تبتُّوا الآن يذهَبْ غِيلُكُم

يا قـــومُ نهباً للعـــدو مقسَّما

فتداركوا رُوحَ الجنود فإننى

أخشى عليها اليومَ أنـــ تتحطَّما

أحد الجنود : « أقطاىُ » [1] قائدُ جيشِنا

ثان : بل أَيْبَكٌ

ثالث : [مشيراً إلى أيبك]

ولوا أمور الجيش هذا الضَّيْغَما

رابع : كلاَّ لعمرىٰ لا يليها « أَيْبَكٌ »

شجرة الدر : إنى أرى أمر الخلاف استحكما

الأمر للسلطان فليَرَ رأيَهُ

أحد الموجودين :

يَشْفيهِ من أوصابه ربُّ السَّما

[هنا تخرج شجرة الدر كأنها تستطلع السلطان رأيه]

أقطاى : إن القيادةَ لىٰ

أحد الموجودين : وإنَّك ربُّها

ثان : مَنْ قال قولا غير ذلك أجرَمَا

أقطاى : عجباً أتنسَى مصرُ أنِّىَ ليثُها

فى الخطبِ إن خطبٌ بمصرَ تأزَّمَا

يا مصرُ لا تنسَىْ بلائى فى الوغى

كم ذدْتُ جيشاً عن حماك عَرَمْرَمَا

(١) هذا الحوار يمثل جانباً حقيقيا مما كان عليه أمر المماليك من الخلاف .

لى من جهادى صفحةٌ ذهبيَّةٌ

في الحـرب خطَّتْها الصوارمُ بالدما

وإذا استحرَّ القَتْلُ واشتَبَكَ القنا

نادَوْا فكنتُ أنا الشجاعَ المُعْلَمَا

إن يمتلكْ غـيرىٰ الزِّمامَ فإننى

أخشى على جيش الحمى أن يُهْزَمَا

أيبك : [متحدياً]

لا تُسلموا غـيرىٰ الزِّمامَ فإننى

أخشى على الأوطان ألا تَسْلَمَا

«أقطايُ» دع عنك الخلافَ ولا تكُنْ

بإثارة الشحناء صبًّا مغـرمَا

إنْ كنتَ «ياأقطاى» تجهلُ من أنَا

فسلْ الصوارمَ والقنا كىْ تعلَمَا

تدرى الكنانةُ منزلى إن كنتَ لا

تدرى وسل هرماً بها ومقطَّمَا

ما للحسام العَضْبِ إلا ساعدى

ويدى إذا النَّقْعُ ادلهَمَّ وأظلَمَا

فاخسأْ وَخلِّ خصومتى من قبل أن

تدْمىَ بنانُكَ بالعضاضِ وتندَمَا

أقطاى : [شاهرا سيفه]

السيفُ يفصلُ فى القضّية بيننا

أيبك : [شاهرا سيفه] نعْمَ الحســـامُ المشَرفىُّ محكّما

أقطاى : [وهما يتبارزان]

أقدمْ على « أقطاى » أمُّكَ هَابلُ

أيبك : [وهما يتبارزان]

ما كان عزُّ الدين يوماً مُحجِماَ

بيبرس : [وهو يحول بينهما]

ماذاك ويحكما ؟ دعا سيفيـــكما

لوذا بأهداب السـكينة واحلُما

تتنازعانِ فتفَشــلانِ وينتهى

أمرُ البلادِ . خسئتماَ وهلـكتماُ

تتصارعانِ على القيادة والعـــدا

يتربَّصون ترَبُّصاً بـكليـــكما

ماذا يقول الشعب عنا وهْو فى

وقت الشدائد عروةٌ لن تُفْصَماَ ؟

فلْيَعْمَلِ الشَّعبُ المكافحُ وحدَهُ
فالشعب في مصرٍ غنيٌّ عنكما
أخلقْ بشعبٍ باسلٍ حكَّامُهُ
تجنى عليه أنْ يثورَ وينقِمَا

[هنا تدخل شجرة الدر وبيدها مرسوم مخطوط(١)]

أحد الحاضرين :

القولُ قولُ مليكنا المحبوبِ

ثان : «قطعَتْ جهيزَةُ قولَ كلِّ خطيبِ»

شجرة الدر : مرسوم مولانا شفاهُ الله
خطَّتْهُ في قرطاسِهِ يمناهُ

شجرة الدر : [وهى تقرأ]

« نحنُ سلطانَ مصرَ والى الوُلاةِ
قد أمرْنا أمراً بما هو آتٍ »
« أن تطيعَ الجنود برًّا وبحرًّا
أمرَ « بيبرَس » قائدِ القُوَّاتِ »

بيبرس : شكراً لمولاى العظيم الشانِ
مِنْ بعد شكر الواحد الديَّان

---

(١) مسألة المراسيم الزائفة التي كانت تصدرها شجرة الدر وتوقعها باسم السلطان حقيقة تاريخية.

روُحى وجُثمانى وما مَلكت يدى

ومواهبى وقفٌ على أوطــانى

أقطاى : [متحديا]

ما ذلك المرسومُ ؟

أيبك : [متحديا]

من أمضاهُ من ؟

شجرة الدر: [فى حزم وصرامة]

أتجاهـرانِ الآنَ بالعصيانِ ؟

أنسيتُما القَسَمَ الذى أقسمتما

باسم الإله ومحـــكم القرآنِ

أقطاى : [فى استخذاء]

طوعاً لأمركِ

أيبك : [فى استخذاء]

إن أمرَكِ نافذٌ

شجرة الدر : [فى حزم وامرامة]

بل طاعـــةً لأوامر السلطانِ

[ستار]

الفصل الثالث

المنظر : هو منظر الفصل الثانى نفسه : بهو فى قصر
السلطان بالمنصورة . فى الصدر منصة الملك
حول المنصة شموع . الوقت وقت الصباح

[الجاسوسان يدخلان فى حذر]

الأول : ويلٌ لنا فالخطبُ جَلْ
الثانى : لا تَتَنَبَّأْ بالفشلْ
ما زال فى الوقت أما مَنَاً مجالٌ للعملْ
متى عدِمْنَا النصر بالسـ ـيف نَصِدْهُ بالحيلْ
الأول : الضربُ فوقَ هامنا كأنه غيثٌ هطَلْ
كم أسَرَ الشَّعبُ جنو داً من « فرنسا » وقتلْ
قد بلغ القتلى ألو فاً وألوفا لا أقلْ.[1]
صرعى الصخور والفئو س والسيوف والأَسَلْ
الثانى : يا شعبَ وادى النيل لا برحتَ فى ضيم وذُلْ

(١) ورد فى كتب التاريخ أن القتلى فى بعض مواقع المنصورة بلغ زهاء خمسين ألفاً .

الشعبُ كان وحــدَهُ مصــدرَ خيبة الأملْ
هو الذى قد علَّ من دمائنا وقــد نَهَــلْ
لولا كفاحُ أهــلهِ ما كان جيشُنا انخذَلْ

الأول : أمَا ترى ســلطانَهُمْ رَاحَ ضحيَّةَ العلــلْ ؟
ما يَصْنَعُ المريضُ فى الـ حرب بجسمه الأشَــلْ

الثانى : وحين مات نَهَضَتْ بالعبْء أُنْثَى ذاتُ دَلْ
ومنذُ ماتَ زوجُهــا تبحثُ فى غــير خجلْ
عن رجُـــلٍ

الأول : عن رجــلٍ ؟ أمامَها ألفُ رجــلٌ

الثانى : ومَنْ أتى من بعــدها طفلٌ غريرٌ ما اكتملْ

الأول : « تورانُ » تستثقــلُهُ جنودُهُ ثِقْــلَ الجبلْ

الثانى : لقــد عرفتُ أنه بالشعر يلهو والغزَلْ[1]
وأنَّه بحــربِ جنــده المماليك اشتغَــلْ

الأول : أما المماليك فهــم من مِلَلٍ ومن نِحَــلْ
وكلَّ يومٍ بينهــم نارُ الخــلاف تشتعِلْ

---

(١) تقول كتب التاريخ إن « توران شاه » كان أشبه بابن المعتز فى أدبه وسوء طالعه وتورد له شعراً .

الثانى : ما فى المماليك جميـ ـعاً غيرَ « بيبرسَ » بطلْ

الأول : ألم يزل « بيبرسُ » حيـًّ ـا سالما ألم يزلْ ؟

ألم تقلْ ســأحتسى من دمه ألم تقُلْ ؟

الثانى : قد كنتُ أُحكمُ الشبا كَ حولَهُ فــلا تَمَلْ

أعــددتُ كلَّ عدَّةٍ لصيده بــلا مَهَــلْ

[فى تهديد وضغط]

اليومَ يلْقَى حتفهُ الـ ـيومَ لقد دنا الأجَلْ

الأول : ونفرةُ الجيشِ من السُّ ـلطان تبعثُ الجذَلْ

الثانى : أصــبتَ فيماَ قلتَهُ أجدِرْ بها أن تُسْتَغَلْ

يرُضيكَ أن نوقِعَ بيـ ـن العرشِ والجيشِ ؟

الأول : أجَــلْ

الثانى : فلنَنتهزْها فرصــةً ياصاح إن الوقت حَلْ

النصرُ للسِّين إذا الـ ـعرش عن الجيش انفصَلْ

الأول : إنْ نجحَتْ فتنَتُنا فإن جرحَنا اندملْ

الثانى : فلنُحكمْ التدبيرَ إحـ ـكاما لنأمَنَ الزَّلَلْ

الأول : ياليتَ شعرى ماالجيـ ـش السِّين خُطَّ فى الأزلْ ؟

الثانى : إن ننهزمْ فى هذه الـ ـحرب فنجمُنا أفَلْ

الأول : وقد ترى « لُوَيْسَ » محـ ـمولاً على ظهر جمَلْ

يحصبُهُ الجمهــــور أو يذبحهُ ذبحَ الحَمَلْ

الثـانى : ياليته لمـــــا رآى طيفَ الهزيمة ارتحَلْ

الأول : إن نُهزمْ صارتْ « فرنســـ ـا » عبرةً بين الدُّوَلْ

وأصبحَتْ بين شعو ب الغرب مضربَ المَثَلَ

حين يعود جيشُنـــــا تعلوه حمرةُ الخَجَلْ

الثـانى : وربّما لم يَبْقَ منـ ـهم مَنْ يعُود

الأول : يُحْتَمَلْ

الثـانى : ادْعُ الصليبَ

الأول : كم طلبـ ـنـا نصْرَهُ فما فَعَلْ

لاتذ كرْ الصليب فالصـ ـليبُ عنا قد غَفَلْ

[ينظر الثانى جهة الباب كأنه رأى أقطاى سائرا]

الثـانى : هاهــــوذا أَقطَاىُ قم فنــــادِهِ على عَجَلْ

[يذهب الأول لينادى أقطاى]

الثـانى : [لنفسه]

من لى بكلِّ أفاعى الدسِّ والفتَنِ

تُلقى نفُاثاتِها فى ذلك الوطَنِ

ياسينُ عشْ آمنا ريْبَ الزمانِ ويا

نيلُ احترِقْ بلظى الأحقادِ والإحَنِ

[يعود أقطاى مع الجاسوس الأول]

الثانى : [لأقطاى]

أهلاً أميرَ جيوشِ النيل أجمعِها

أقطاى : عمْ ياصديقى صباحاً . أنتَ تطلبُنى ؟

الثانى : نعمْ معى لكمو نصحٌ أقدِّمُهُ

فإنَّ فضلَكمو قد بات يشملُنى

فضلُ المماليك مثلُ الطَّوق فى عُنُقى

أهلِ الشجاعةِ والإحسان والمِنَنِ

لكنْ سألتُكَ باسم الله تكتُمُ ما

أقولُهُ لك ليس الأمرُ بالعَلَنِ

بالأمس بعتُ نساءَ القصر أقمشةً

راقتْ لديهنَّ من خزٍّ ومن قُطُن

أقطاى : [فى لهفة]

قل لى فديتُك ماذا قد رأيتَ به ؟

الثانى : رأيتُ « تورانَ » فيه وهْو لم يرنى

أتى بشَمعٍ كثير ثم أوقدَهُ

من بعد ما صفَّه فى منظر حسَنِ[1]

---

(١) حادثة الشمع تاريخية مأثورة .

وأعمل السيفَ فيه قائلاً : وكذا

أَرْدى المماليكَ فى يوم من الزمنِ

أقطاى : صدقتَ يا سيِّدَ التُّجار — إنَّ له

قلباً حقـــوداً علينا جدَّ مضْطَغِنِ

الثـانى : إنى أُؤَدىٍّ إليـكم بعضَ دينْـكمُو

أقطاى : شكراً . سَأَنْظُر فى هذا ولسْتُ أَنِى

[أقطاى ينصرف]

الثـانى : [لزميله]

قم يا أخى اسرَحْ على فيضِ الـكريم معى

الأول : تعـــالَ يرزُقَكَ البارى ويرزُقنى

[يخرج الجاسوسان ، وتدخل « تاج الملك » فى حالة عصبية]

تاج الملك : [ثائرة]

ويْـلاهُ طال السُّهدُ وانقطع الـكرى

ماذا عسى فى الغَيْب لى قد أُضْمِرا ؟

نفتِ الرُّؤَى نومى وشاكتْ مضجعى

إنِّى أريدُ لمـا رأيْتُ معـــبِّرا

حَجَبَ الأسى بغُيُومه فَلَقَ الضحى

عن مُقْلَتِى فتـكادُ ألاَّ تبصرا

ما للهواجس ما لها تَنتَابُنِى ؟
ما هذه الأطيافُ ما هى يا تُرَى ؟
رُوحى فِدا « بيبرسَ » ماذا مَسَّهُ ؟
« بيبرسُ » أقبلْ عُدْ إلىّ مظفَّرا

[هنا تدخل شجرة الدر حزينة]

شجرة الدر : مَنْ أنتِ ؟ « تاج المُلكِ » طيبى واسلَمى

تاج الملك : وعِمى صباحاً يا مليكةُ وانعَمِى

شجرة الدر : [وهى مطرقة]

لا لم أعُدْ بعدُ المليكةَ قد أتى
« تورانُ »

تاج الملك : ماذا تقصدين ؟ تكلَّمى

شجرة الدر : [غاضبة]

واللهِ ما أدرى علامَ يثورُ ؟
ويفورُ مثلَ القِدْرِ حينَ تفورُ ؟
بايعتُهُ فى حصن « كِيفَى » غائباً
بخلافةٍ ما نالها المنصورُ
وحفظتُ عَرْشَ أبيه مِنْ أطماعِ من
طمعُوا فآلَ إليه وهُوَ صغيرُ

وكتمتُ أمر مماتِهِ حرصاً على

حـــرب رحاها فى البلاد تدورُ

تاج الملك : [مبتسمة]

ولرُبما زَوَّرْتِ توقيعَ اسمِـــهِ

يوماً وأحـكمَ ذلك التزويرُ

شجرة الدر : وحملتُ عبْءَ الملك وحدى فادحاً

رَضْـــوَى تنُوء بحملِهِ وثَبِيرُ

هـــذا السريرُ لو أننَّى خلَّفتهُ

لتخطَّفَتْهُ بواشـــقٌ ونســـورُ

ماذا عسانى كنتُ أصنع ؟ لم يكن

يرقاهُ لولا ذلك التدبـــيرُ

فإذا جزَائى غلظـــةٌ وفظاظةٌ

وإذا ثوابى جفوةٌ ونفـــورُ

تاج الملك : « تورانُ » فى نَزَقَ الشباب وطيشه

فلتصبرى . إن الـكريمَ صبورُ

شجرة الدر : إنى لأخشى غِبَّ هذا الطيش فى

وقتٍ يُخَـــطُّ لمصرَ فيه مصيرُ

تاج الملك : بل للعـــروبةِ يا شجيرةُ كلِّها

ويلٌ لها إن أخطأ التقـــديرُ

شجرة الدر : إن ينتصرْ جيشُ العـدوِّ على الحمى

فالعُرْبُ قومٌ بعـــد ذلك بُورُ

تاج الملك : لا تجزعى فالنصرُ مكتوبٌ لنـا

« تورانَ شاهُ » مؤيَّدٌ منصورُ

شجرة الدر : لا تذكرى « تورانَ شاهَ » فما لنـا

أملٌ لعمرُ الله فيه كبيرُ

لـكنْ لنـا فى الشعب آمالٌ وفى

« بيبرسَ » أخرى

تاج الملك : [تحاول إخفاء عواطفها]

قائدٌ مشهـــورُ

شجرة الدر : [فى حماس]

أوَ مَا أَصبتُ الحـــقَّ إذ وليّتُهُ

أمرَ القيـادةِ

تاج الملك : إنه لجـــديرُ

شجرة الدر : إنىِّ لمعجَبَةٌ به

تاج الملك : لِـمَ ؟

شجرة الدر : إنَّــه

ليثٌ إذا خاض الحروب هَصُورُ

وله شبابٌ رِيِّقٌ ولوجهـــه

سَمْتٌ كما شاء الجمـــالُ نَضِيرُ

تاج الملك : [فى غيظ] رُبَمَا

شجرة الدر : كأنَّكِ لا تَرَيْنَ كما أرى

تاج الملك : لِمَ لَا ؟

شجرة الدر : كلامُكِ موجَزٌ مبتورُ

شجرة الدر : [فى همس]

باللّه هل سرِّى لديك مُضَيَّعٌ ؟

تاج الملك : ما السرُّ ؟

شجرة الدر : سرٌّ لا يُذاع خـــطِيرُ

تاج الملك : أَفْضِى بهِ

شجرة الدر : هل تــكتُمين السرَّ ؟

تاج الملك : لا

تَخشَىْ فسرُّكِ فى الحشا مستورُ

شجرة الدر : [متحمسة]

إنىِّ لأشعُرُ بالصبابة نحــــوَهُ

تاج الملك : [مشدوهة]

هل عنده أيضاً بذلكَ شعورُ ؟

شجرة الدر : هو ليس يدرى . أَخْبِريهِ أنتِ

تاج الملك : هَـــلْ .

أنا فى بلاطِ العاشقِينَ سفيرُ ؟

شجرة الدر : رحماكِ « تاج الملك » مالكِ هكذا

تَقْسِينَ ؟ قلبى إنْ صبَا معذورُ

ضَعْفُ الأنوثة وهو داءٌ مزمنٌ

يقضى علىَّ بما إليه أشيرُ

إنَّ الأرامل بعد فقدِ بعولها

مثلُ الطيور جناحُهُنَّ كسيرُ

ولكل أرملَةٍ لسانٌ يفترى

ولو أنهَّا مثلَ البتُول طهورُ

فاذا احتَمَتْ بحِمىَ عشيرٍ زانَها

فى الخدْر عرضٌ سالم موفورُ

إن التأهل عِصْمَةٌ وحصانَةٌ

ماذا تَرَيْنَ ؟

تاج الملك : تصَرُّفٌ مشكورُ

لكنَّ « نجمَ الدين » لم يدمَلْ له

جُرْحٌ وما مرت عليه شهورُ

شجرة الدر : أَنَا مافعلتُ وإنما هيَ فكرةٌ

أَيَضِيرُني التفكيرُ ؟

تاج الملك : ليْسَ يَضِيرُ

لكنْ ألم تجدى سوى « بيبرسَ » ؟

شجرة الدر : لم

أر غَــيْرَهُ

تاج الملك : إن الرجالُ كثيرُ

شجرة الدر : لكنَّ حكمَ الحبِّ حكمُ نافذٌ

جَيْش القــلوب أمامَهُ مقهورُ

[هنا يدخل الحاجب مرجان]

مرجان : [لشجرة الدر]

مولاةِ إنَّ سيدى السلطانَا

يدعــوكِ

شجرة الدر : [وهى منصرفة] مــاذا يبتغى ؟ لا كانا

مَنْ مَعَهُ ؟

مرجان : « بيـــبرسُ » كان حاضراً

شجرة الدر وتاج الملك معا :

« بيبرسُ ؟ »

مرجان : منه يستقى الأوامرَا

[تنصرف شجرة الدر]

تاج الملك : [لمرجان]

مَرجْانُ

مرجان : سمْعــاً

نادِ لى « بيبرساَ »

تاج الملك : إذا انتهى من شُــــغْلِهِ . لا تَنْساَ

تاج الملك : [وهى منفردة]

ويحى أَأُغْمِدَ فى فؤادى خِنْجَرُ

فإذا دمائِىَ من فؤادىَ تقطُــرُ ؟

« بيبرسُ » تعشَقُهُ المليــكةُ ؟ يالَهُ

خـــبراً يكادُ له الحشا يتفطَّرُ

يا ليت شعرى أهْوَ تأويلُ الرُّؤَىَ ؟

أبمثل ذلك ما رأيتُ يُفَسَّرُ ؟

أبذاك تُخْتَتَمُ الخطـــوبُ وتنتهى

أم فى ضَميرِ الغيْب شيءٌ آخرُ ؟

يا ربِّ لطفـــاً فى قضائك إنهُ

حتم على كل العباد مقـــدَّرُ

[هنا يحضر بيبرس]

تاج الملك : [فى لهفة] « بيبرسُ »

بيبرس : مـــولاتىَ الأمـــيرةَ

تاج الملك : مرحباً

هل ثَمَّ من خبر به أستبشرُ ؟

بيبرس : بشرى انتصاراتٍ يُخلَّدُ ذكرُها

فى كل قلب بالنُّضارِ تُسطَّرُ

إنَّا زحفنا اليومَ زحفاً شـــاملا

تاج الملك : جيشُ البلاد على يديك مُظَفَّرُ

بيبرس : لا بل بفضل الشَّعب فضلِ رجالِهِ

ونسائِه جيشُ الـكنانة ينْصَرُ

إنا حَصَرْنا الخصمَ بين مياهنا

ولسوفَ يَفْنَى نصفُهُ أو أكـثرُ

أمَّا « لوَيسُ » عليـــه لعنة ربِّهِ

فاليومَ يُبتَر رأسُه أو يؤسَرُ

تاج الملك : لله ما أحلى حــديثَكَ . إنه

قولٌ كأزهارِ الرياضِ معطَّرُ

تاج الملك : [وهى تقبله وتبكى]

دعنى أقبِّلُ هــذه الشفةَ التى

ينسابُ فى أُذُنىَّ منهــا الجوهَرُ

بيبرس : باللهِ ما يُبكى عيونَكِ ؟ إننى

يفرى ضـلوعى دمعُك المتحدِّرُ

تاج الملك : [فى دلال]

أجمعْتَ يا « بيبرسُ » مهرى ؟

بيبرس : كيف لا ؟

عَدَدُ الجماجم فى سجلِّى يُحصَرُ

لم يبقَ إلا هامتـــان

تاج الملك . فقطْ ؟

بيبرس : آجـــلْ

واليـــومَ هاماتٌ بسيفى تُبتَرُ

لله درُّكِ من عروسٍ وخْدَهـا

دونَ الكواعب بالجماجم تُمْهَرُ

تاج الملك : (وهى تبكى)

ما بال دمعِ العين يَقْهَرُنى !

بيبرس : أفى

يوم اكتمال النصر دمعُكِ يقْهرُ ؟

تاج الملك : هل أنتَ وافٍ لى بعهدكَ ؟

بيبرس : كيف لا ؟

عجباً أمثلى إذ يعـاهد يغْدِرُ ؟

تاج الملك : إنىِّ لأخشى الدهرَ أخشى غَدْرَهُ

بيبرس : الدهر من سيفى وكفِّى يحذَرُ

تاج الملك : إنّ القلوبَ يصيبهُنَّ تقلُّبٌ

فلعلَّ قلبَكَ فى غـدٍ يتغيَّرُ

ولعلَّ بعضَ الغانياتِ بدلِّها

أو جاهها بك يا حبيبُ تُغَرِّرُ

بيبرس : أقسمتُ لو أتتْ الجنانُ بحورها

وَمشَتْ أمامى يا حبيبةُ تخطِرُ

تختـــال فى إستبرقٍ أو سُندسٍ

هـــذا سماوىٌّ وذلك أخضرُ

ما كان فى قلبى لغيركِ موضــعٌ

أو طابَ فى عينى لغيرك منظَرُ

تاج الملك : « بيبرسُ » أنتَ إذا نطقْتَ مصدَّقٌ

وإذا حملْتَ على الكتيبة حَيْدَرُ

لكننى أخشى عليك من الوغى

قلبى بذلك يا حبيبى يشعُرُ

بالله لا تذهَبْ إليها اليومَ لا

تذهَبْ

بيبرس : أمثلى من لظاها ينفرُ ؟

أأكونُ موقدَها ونافخَها ولا

أَصْلَى بها مشبوبةً تَتَسَعَّرُ ؟

تاج الملك : إنى رأيتُ رؤًى تَروعُ القلب يا

« بيبرسُ »

بيبرس : [متحمساً] لا يخشى الحِمامَ غضنفرُ

هل تمنعينَ البحرَ موجَ عُبابه ؟

هل تُسكتينِ الليثَ إذ هو يزأرُ ؟

مَنْ يكبحُ الإعصارَ عند هُبوبه ؟

مَنْ يُطفِىء البركان إذ يتفجَّرُ ؟

خلى الهواجسَ يا حبيبةُ والرُّؤَى

وليبْدُ فى لِبَدِ الأسود الجؤْذَرُ

التِّبْرُ فى النيران يبدو صـــدقُهُ

والحرُّ فى وقت الشدائد يظهَرُ

والنصر بات على شفاً فاستبشرى

تاج الملك : سمعاً لمـــا تَقْضى به أو تأمُرُ

إنِّى قد استودعتكَ اللهَ الذى

تُرْجَى الودائعُ عنده يا قَسْوَرُ

تعانقه ثم تنصرف وهنا يدخل أقطاى وأيبك وثلة من المماليك في حالة هياج

أقطاى : « بيبرسُ » أنت هاهنـــا

وعنكَ طال بحثُنَا ؟

بيبرس : خـــيرًا تريدُ يا بطلْ

أقطاى : لا خـــيرَ فالأمْرُ جللْ

الأمرُ جازَ طـــوْرَهُ

لقـــد عرفتُ سرَّهُ

يجلس الجميع في شبه حلقة

بيبرس : إنى أرى أعيناً من شدة الغَضَبِ

تــكادُ ترمى بألحاظٍ من اللّهبِ

أقطاى : نعمْ غضبنا وأرهفْنا صوارِمَنا

فالأمرُ جِدٌّ وليس الأمرُ باللعِبِ

أيبك : أما سمعتَ ؟

بيبرس : بماذا ؟

أيبك : أن عاهلَنا

قد باتَ يُنذرُنا بالويل والحرَبِ

« تورانُ » قد راح في سرٍّ وفي عَلَنٍ

يرمى المماليكَ بالإفسادِ والشَغَبِ

أقطاى : « تورانُ » يجلسُ في الظلماء منفردًا

ويُوقدُ الشمْعَ وسْط الليل كالشُّهُبِ

ويُعملُ السيفَ فيه جاهدًا فإذا

ما حطَّمَ الشمعَ غنَّى وهْو في طرَبِ

كذا كذا بمماليكى سأفعلُ في

يومٍ عصيبٍ عبوسِ الوجهِ مقتربِ

أحد المماليك : إن نحن لم نبتَدِرْهُ بالأذى كثُرَتْ

أنصاره وانقلبنا شرَّ مُنقلَبِ

بيبرس : عَلَّ الذى قال هذا يفترى كذباً

أقطاى : بل غيرُ متّهَم بالإفك والكذبِ

ضيفٌ هنا من تِجارِ البندقيّة لا

يرقَى إلى قوله طيفٌ من الرِّيَبِ

أحد المماليك : « تورانُ » منذ تولى الحكم يطلبُنا

فإن سكتُّمْ عليه جدَّ فى الطَّلَبِ

ثان : لولا المماليكُ ما أبصرْتُ دولتَهم

يوماً على وتدٍ قامت ولا طُنُبِ

لولا المماليكُ لم تكثُرْ غنائمُهم

حتى يسيرُوا على أرض من الذهب

ثالث : مصرُ التى حفظتْ للقدْس حرمتَهُ

وثبَّتتْ رايةَ الإسلام والعربِ

ما بالُها اليومَ قد هانت مكانتُها ؟

ما بالُها أصبحَتْ محكومةً بصبى ؟

أذاكَ وارثُ نجم الدين والهَفى ؟

أذاكَ سِبْط صلاح الدين واعجبى ؟

رابع : بالأمس كان لنا السلطانُ أجمعُـه

وكان من بأسنا السلطانُ فى رَهَب

لـكنَّ « تورانَ » لما جاء أبعدَنَا

حتى غـــدونا بلا جاهٍ ولا نَشَبِ

أقطاى : ما نصنعُ الآن ؟

أيبك : نرجو أن نلقِّنَهُ

درساً يسطِّرُ بالأقلام فى الـكُتُبِ

أيامُ عرش بنى أيوبَ قد قرُبَتْ

لسوف نتركُهُ كالمنزل الخــرِبِ

اليوم نفعـــــلُ فيهم مثلما فَعَلُوا

بالفاطميِّينَ أهل المجــد والحسبِ

بيبرس : إنْ تفعلوها لعمرىَ ما نجا أحدٌ

من شرها وأصبتُمْ مصرَ بالعَطَبِ

وكيف تنسَوْنَ أن الحرْبَ دائرةٌ

فى أرض مصرَ وأن النصرَ عن كَثَبِ ؟

كلا وحرمة مِصرٍ لن أشاركَكُم

حتى نطهِّرهَا من كل مغْتَصِبِ

أقطاى : إذنْ نؤجِّلهَا حتى يَتِمَّ لنا

كسرُ العدو وتَحْظَى مصرُ بالغلبِ

أيبك : توافقون على هذا ؟

الجمهرة : موافقـــةٌ

أقطاى : ومَنْ يَقلْ غير هذا القولِ لم يُصبِ

بيبرس : هيا إلى الحرب إن الشعبَ منفرْدٌ

أحدالمماليك: هيا نشارِكُهُ فى النصر والسَّلَبِ

[يخرج الجميع ويدخل وفد من الشعب برياسة بهاء الدين زهير الشاعر]

الوفد : [يهتف]

يحيـا السلطانْ يحيـا تورانْ

النصر للأوطانْ النصر للسلطانْ

[السلطان توران شاه يدخل ومعه حاشيته]

السلطان : أهـــلا جنودى الأوفياء سلامَا

الوفد : أبقـــاكَ ربى للحمى وأداما

البهاء زهير : مولاى وفـــدٌ من الرعيَّةْ

قد جاء يهـــدى لك التحيةْ

وباسمهم قلتُ فيك شعـــراً

هـــل تأذن الحضرةُ السنيَّةْ ؟

السلطان : ما أعذبَ الشِّعرَ من زُهَـــيْرٍ

أنشـــدْه قدِّمْ لنـا رويَّهْ

البهاء : فى كلِّ قلبٍ قـــد نزلتَ بمنزلِ

أقبلْ وجُندُ الله حـــولك أقبلِ

إن كان « نجْمُ الدين » غاب فإنَّهُ

متمثِّلٌ فى وجهـــك المتهلِّلِ

إنى رأيت أباك فيك بعَزْمِه

ومضائه فـكأنه لم يرْحَـــلِ

مولاى إنَّ أباك طيِّبَ ربُّه

مثواه قد بدأ الجهـــاد فأكمِلِ

النصر يمشى فى ركابك دائماً

والغيمُ حين تلوحُ شمسُكَ ينجلى

قد دنَّسَ الغازى بطلعته الحمى

وأقام كالداء العياءِ المُعضِـــلِ

طهِّرْ نسيمَ النيــــل من أنفاسه

واحملْ عليه كالقضـــاء المُنزَلِ

قلِّمْ أظــافرَهُ ليعـــلَمَ أننا

شعبٌ إذا سِيمَ الأذى لم يَقْبَلِ

الشعبُ خلفَكَ إن أمرْتَ رجالَهَ

بشراب أكـواب المنيــة يفعَلِ

« عيشُ الفتى فى ذلةٍ كجهنمٍ

وجهنمٌ فى العزِّ أطيبُ منزلِ »

السلطان : لقد أجدتَ القولَ يا بهـــــاءْ

الويلُ ثم الويلُ للأعـــــــداءْ

[هنا يدخل رسول من عند « لويس » معه كتاب(١)]

الحاجب : مـــــولاى جاء رســـــولْ

السلطان : اسمـــــح له بالدخـــــولْ

الرسول : تحيةٌ تُهـــــدَى إلى السلطانِ

من سيدى « ريدا » العظيمِ الشّانِ

معى كتابٌ

---

(١) قصة الكتاب ورده تاريخية ونصهما وارد فى بعض الكتب وهو لا يخرج عما أشرنا إليه .

السلطان : فضُّهُ يا بهـــــاء

واتلُ علينا ما به من هُرَاء

بهـــاء : [يقرأ] من « لُويسٍ » حامى حمى الصُّلبان

عاهلِ السين صاحب الصولجانِ

لأخيه سلطانِ مصرَ . ســـــلامٌ

من « فرنسا » يُهدَى إلى السلطانِ

طالت الحربُ بيننا وعلام الطَّ

ـعْنُ والضربُ إننا أخوانِ

أنت فى الشرق صاحبُ الأمرِ فيه

ولىَ الغربُ ليس لىْ فيه شـــانِ

إنَّ مِصراً فى مجـــدها وفرنسا

فى عـــــلاها كلتاهما توءمانِ

إنَّ طه رسولُ ســـلمٍ وعيسى

دينُهُ دينُ رحمة وحَنـــانِ

يا بنَ أيّوُب جئتُ أعرضُ صلحاً

فيه أمْنٌ يحظَى به الطرفانِ

أترك القدس لى « ودِمياطُ » أجلو

لك عنهـــا توًّا بغير تَوانِ

فإذا ما قبلتَ صلحىَ فاقبلْ

محضَ شكرى واقبلْ عظيمَ امتنانى

السلطان . أأتممتَ هـــذا الخطابْ

زهـــير : نعمْ

السلطان : وإليكَ الجـــوابْ

السلطان : [وزهير يكتب]

يا أخا السِّين ما كتبتَ أتانى

وإليكَ الجوابَ من « تورانِ »

الجلاء الجلاء من غـــير شرطٍ

فإذا لم تقبلْ فأنت الجـــانى

[الرسول يتسلم الكتاب وينصرف]

أحد الحاضرين :

أيُّها السلطانُ قد أحسنتَ قوْلاً

ثان : إن خير القول ما قلَّ ودلَّا

ثالث : لا نبتغى منه صُـــلحًا

رابع : بل ســـوف يُذبحُ ذبحًا

السلطان : انصرفوا يا قومُ مشكورينْ

وأبشروا بالنصر بعد حين

ينصرف الوفد ويبقى مع السلطان حاشيته . يدخل الجاسوسان

الحاجب : بالباب يا مولاىَ تاجرانِ

يلتمسان الإذنَ

السلطان : يَدخـــلانِ

الجاسوسان: تحيةُ الرحمنِ للســـلطانِ

السلطان : تحيةً يأيها الضـــيفانِ

الأول : مليكَ الكنانة فخرَ الزمانِ

وربَّ الأريكةِ والصـــولجانِ

نزلنا بمصرَ ضــــيوفاً فعشنا

بها فـــترةً فى نعيم الجنانِ

السلطان : على الرُحْب مصرُ مهادُ الضيوفِ

فمنْ أنتما ؟ وما تطلبانِ ؟

الثانى : تباركْت مَولاىَ نحنُ من البنـــ

ـدقيّةِ نحنُ بها تاجرانِ

وجئناكَ نفْضِى إليكَ بسرّ

فمُرْ سيدى بخـــلوِّ المكان

السلطان : [لحاشيته]

رجالىَ ، لا يبْقَ باقٍ هُنـا

السلطان : [للجاسوسين]

نعَمْ أفضيا بمـا تبغيـانِ

الأول : أمـــولاىَ كم لأبيكَ أيادٍ

علينا نقابلُهـــا بامتنانِ

الثـــانى : ونحفظُها لابنه فى الصدورِ

الأول : لذلك جئنا

السلطان : ألا تُفصحانِ ؟

الثـــانى : [فى شدة]

حيـــاتُك مـــولاىَ

السلطان : [فى اضطراب]

ما لحياتى ؟

الأول : [فى قوة] مهــــــددةٌ

الثـــانى : » » مالهــــا من أمانِ

الأول : [هامسا]

هنا بقصــــور المماليك كنَّا

نبيع الحرير لبعض الغوانى

ومنْ بعضهنَّ سمعنا حـــديثاً

تُصَكُّ بألفـاظه الأذُنانِ

السلطان : وما هو هـــذا الحديثُ ؟ أبينا

ولا تـكتُما أيُّهـــا الناصحانِ

الثـــانى : [فى قوة]

مؤامرةٌ حـــــولَ قتل المليكِ

بضرب الحسام وطعن السنانِ

السلطان : نعمْ إنَّ عندى شـعوراً دفيناً

بهــــذا نعمْ أنتما صـــادقانِ

فشكراً جزيلاً سآخُذُ حِذْرِى

وأكتُمُ أمرى فهل تـكتمانِ ؟

الجاسوسان: نعمْ سـيِّدى

السلطان : [وهو يعطيهما] هذه منحةٌ

أقدِّمهـــا لـكُما

الجاسوسان: شـاكرانِ

الجاسوسان ينصرفان ، السلطان يتجول في المسرح هائج الأعصاب ، يوقد الشموع إن لم تـكن موقدة

السلطان : [وهو يضرب الشمع بالسيف]

كذا سأصنعُ يوماً بالمماليكِ

أقسمتُ ما أحدٌ منهم بمتروكِ

يا مصرُ كم فيك من عبدٍ ومن أمةٍ

بالمالِ بيعَ فأمسى حاكماً فيكِ

لا كنتُ إن لم تُطَهَّرْ شاطئيك يدى

قبل الفرنسيسِ من جيش الصعاليكِ

بقيتِ يا مصرُ فى أمْنٍ وفى دعةٍ

« تورانُ » بالنفس قبل المال يفديكِ

السلطان : [يصفق فيأتى الحاجب]

الحاجب : لبيـــكَ مولاىَ

السلطان : نادِ الصَّحبَ نادِهِم

السلطان : [بعد حضورهم] وأينَ أمُّ خليلٍ ؟

الحاجب : داخـلَ الحَـرَمِ

السلطان : قم نادِهـا هى أيضاً

السلطان : [بعد ذهاب الحاجب]

إنَّ لى معهـــا
قدراً من المـال عينى عنه لم تَنَمِ [1]

السلطان : [للحاضرين]

ما رأيكم فى سدادِ الدَّيْن

بعض الحاضرين : توجبُـــــهُ

شريعةُ الله والأخلاقِ والشيم

السلطان : فهل أعُقُّ مدينى إذْ أطالبُهُ ؟

بعض الحاضرين :

مَنْ يطلبْ الحقَّ لم يُعذَلْ ولم يُلمِ

[هنا تحضر شجرة الدر ومعها تاج الملك ولا بأس ببعض النسوة]

شجرة الدر : لبيكَ مولاىَ

السلطان : مرحىٰ . أنتِ زوجُ أبى

بل أنتِ أمىَ فى القُربَى وفى الرَّحِمِ

لكنْ أبى يومَ وافتْهُ منيتُهُ

ما كنتُ حِلاً بأرض النيل والهرمِ ؟

(١) قصة مطالبة « توران شاه » لشجرة الدر بمال أبيه قصة تاريخية ، وقد كانت من أسباب الفتك به .

فأين ما كان يا أماهُ عند أبى
من كلِّ غالٍ جليلِ القدر ملتَزَمِ ؟
كانت لديه قناطيرٌ مقنطرةٌ
ليستْ تُعَدُّ بقرطاسٍ ولا قلمِ
كانت لديه من الأحجار طائفةٌ
شتَّى كرائمُ أقصى غايةِ الكرمِ
إنَّ الخزائن مما قلتُ خاليةٌ
تشكو من العُدْم يا أماهُ والعَدَمِ

شجرة الدر : [ثائرة باكية]

ويحى وويحك ماذا طَنَّ فى أُذُنى ؟
ماذا توجِّهُهُ من قارص الكلمِ ؟
بمثل هذا الخنا والفحشِ تقذفُنى
« تورانُ » حسبُكَ قد أسرفتَ فى التُّهمِ
ما كنتُ أعلمُ أنَّ الأمر يبلغُ بى
من آل أيُّوبَ حدَّ الطعن فى الذممِ
أذاكَ أجرُ الذى أسلفْتُ من مِنَنٍ ؟
أذاك أجرُ الذى قدَّمْتُ من نعمِ ؟

نهضتُ بالعبء إذ عيَّ الرجال بِهِ

أحمى الذمار وأرعى حُرمة الأجَمِ

وقمتُ بالأمر فى مصرٍ أصرفهُ

والحربُ قائمةٌ فيهـــا على قدمِ

وصنتُ عرشك من عادٍ ومفترسٍ

وقلتُ دونَك يا « تورانُ » فاستلمِ

حتى إذا ما وَليتَ الملكَ تؤلمنى

كأن قلبيَ لم يكتظَّ بالألمِ

بالله دعْ عنك هذا القولَ تنفثُهُ

سمًّا فأهونُ منه أن تريقَ دمى

السلطان : [فى قوة]

أريدُ مال أبى لا تبعثى غضبى

لا تخدعينى بدمعٍ منكِ منسجمِ

شجرة الدر : [فى تحد]

لا مال عندىَ فافعَلْ ما بدا لك بىْ

السلطان : [مهددا]

ستشعُرين غداً يا أمُّ بالنـــدمِ

[تجلس شجرة الدر باكية بجوار تاج الملك] تدخل ثلاثة من الجنود المماليك والأسى والحزن باديان على وجوههم

أحد الجنود : [وهو يبكى]

مـــولاى يالتصرُّفِ الأقـــــدارِ

طاح القضاء بليثِ « بُنْدُقْدارِ »[1]

« بيبرسُ » خرَّ مجندلاً

شجرة الدر وتاج الملك معاً : « بيبرسُ »

الجندى : قـــــد

سَقَطَ الفتى المغوارُ فى المضمارِ

[يغشى على كل من شجرة الدر وتاج الملك ويسقطان على الأرض]

السلطان : [مشيراً إلى المرأتين]

صبُّوا على هاتين ماءً باردًا

[هنا يحملهما الجنود خارج المسرح]

السلطان : [للجندى] أُسرُدْ علىَّ بقية الأخبارِ

الجندى : كنَّا نغيرُ على العدوِّ إغارةً

شعواءَ تُصليه عـــــذاب النارِ

---

(١) « بندقدار » هى التى ينسب إليهما الملك الظاهر « بيبرس » البندقدارى .

بين البحيرة — لاعدمنا ماءها —

والنيـــلِ حاصرناه أيَّ حصـــارِ

والقوم بين مجَنْدَلٍ أو واقعٍ

فى أسرنا أو لائذٍ بفِـــرارِ

الجيش بالبتَّار يَفْرِى هــــامَهُمْ

والشعب بالبتَّار والأحجـــارِ

هاماتهُم عددُ الحصى فوق الثرى

ودماؤهم تنصبُّ كالأمطـــارِ

السلطان : « بيبرسُ » كيف قَضَى ؟

الجندى : أتاهُ هامسٌ

فى أُذْنه ناجاه فى إسرارِ

فإذا به تَرَكَ المجالَ فُجاءةً

متوغِّلاً فى جبهة الكفارِ

ولقد بحثنا بعدها عنه فـــلم

نعثُرْ له أبداً على آثارِ

وإذا بناعٍ من صفوف عُداتِنا

ينعى حياةَ الفارس الكرَّارِ

السلطان : والجيشُ ؟

الجندى : كان لنعى قائده على

عَزَماتِه فعلُ الحيَا بالنَّارِ

السلطان : والشعبُ ؟

الجندى : زاد حَمِّيةً فكأنما

هذا المصابُ أصابهُ بسُعارِ

السلطان : [فى حماس]

تبًّا لجيْشِىَ فى الحروب ومرحباً

يا شعبَ مصرَ زعيمةِ الأمصارِ

المارد الجبارُ شعبِىَ وحدهُ

مرحىٰ بهذا المارد الجبارِ

[هنا يسمع صياح وجلبة وهتاف يشق عنان السماء خارج المسرح . أفواج من الشعب قادمة على القصر ، ومعها « لويس » السابع أسيراً « الشيخ عز » على رأس الوفود .

الشعب يهتف :

اللهُ أكبرْ اللهُ أكبرْ

النصر للسلطـــانْ المجـــد للأوطانْ

النصر لمصرْ ولمصر النصرْ

الله أكبرْ الله أكبرْ

[الشيخ عز يدخل ومعه وفود الشعب بقدر ما يتسع المسرح ، ثم يتقدم من السلطان ، « ولويس » مغلول اليد والعنق مع بعض الأفراد]

الشيخ عز : [فى قوة وحماس]

مولاى جاء برأسِ الكفر يُهديهِ
إليكَ شعبٌ تعالى اللهُ باريهِ

هذا « لويسُ » ذليلا خاضعاً ضرعاً
يَودُّ لو أنَّ بطنَ الأرض يُخفيهِ

القيد فى يده العسراءِ أسورةٌ
والطوقُ فى جيده عقدٌ يُحليِّهِ

قد جاء يحسبُ أن النيلَ مغنمةٌ
لم يدر أن عرين الأُسْدِ واديهِ

إنَّا قبضْنَا عليه بعد ما نَفَقَتْ
جيوشُهُ بعد ما قُصَّتْ خوافيهِ

ضاقت به الأرض فى مصرٍ بما رحُبَتْ
وظَنَّ منْيَةَ « عبد الله » تنجيهِ[1]

فانقضَّ فيها عليه الشعبُ مفترساً
كأنه الجوُّ إذْ ينقضُّ بازيهِ

---

(١) هى بلدة معروفة بجوار المنصورة وبها قبض على « لويس » التاسع .

لم يبْقَ إلا قليل من عساكرِهِ

غـداً عن الوطن المحبوب نُجليهِ

الله أكبرُ يومُ النصر مبتسِمٌ

بدا لنـا فجرُهُ وانجـاب داجيهِ

والنصرُ من عند ربِّ العرش يمنحه

مَنْ ينصرُ الحقَّ فى الدنيـا ويعليهِ

فليرفعْ العُرْبُ فوق النجم رايتَهمْ

وليعلم الشرق أن النيـلَ يحميهِ

[الوفود تصفق وتهتف داخل المسرح وخارجه]

السلطان . [فى حماس بالغ يقبل الشيخ عز ويصافحه]

أيها الشيخ هات كفَّك هاتِ

وإليك المئاتِ من قُبُـــلاتِى

أيها الشعبُ أنت كالسيف يبدو

نفعُهُ فى المواقف الحرجاتِ

أنتَ مثلُ الحســـام يزداد صقلا

كلما قلَّبوه فى الجَمَراتِ

[يجلس السلطان ويجلس الشيخ عز والحاشية]

السلطان : أيهـا الشيخ أين الأســيرُ ؟

لويس : [فى فزع من الجماهير]

بك يا حامىَ الحمى أستجيرُ

أصوات : أقتلوهُ . ضحُّوا به . أَعدمُوهُ

السلطان : لا ولكنْ بجـــانبى أَجاسوهُ

[« لويس » يجلس أمام السلطان أو بجانبه]

السلطان : [للشعب]

إعـــدامُهُ معنـــاهُ أَنَّا هنَا نخشـــاهُ

وذاك وضْعٌ شائنٌ لمصرَ لا أرضَـــاه

فليأتِ ألفَ مرةٍ فإننَّـــا نلقـــاهُ

[تصفيق وهتاف داخل المسرح وخارجه]

السلطان : [« للويس »]

ماذا جَنَتْ مصرُ حتى جئتَ تغزوها ؟

لويس : ما كنتُ أعلمُ أن الأُسْدَ أهلوها

السلطان : قومى يطـــالبون بالإعـــدامِ

لويس : والعفوُ من شمائلِ الـكرامِ

السلطان : العفوُ عن مثلِكَ كيف يُعْقَلُ

مِنْ بعد أن فَعَلْتَ ما لا يفُعَلُ ؟

لويس : إن أنتَ أطلقتَ سَراحى أُقْلِعِ

عن ثغرِ « دِمياَط » وعسكرى معى

السلطان : ماذا تقولُ ؟ أحْسِنْ المقـــالاَ

قد قلتَ قولا يُضحك الثَّـكالَى

عســكرُ « دِمياَط » الذى تعنيهِ

عساكرى فى ســاعة تُفنيهِ

لويس : هل أشـــترى نفسىَ بالأموالِ ؟

السلطان : نَعَمْ ، ولـكنَّكَ عندى غالِ

لويس : كم تطلبونَ ؟

السلطان : ألفُ ألف تدفع[1]

ومن هنا إلى فرنســا ترجعُ

وتُطاقُ الأسرى التى لدْيــكا

قبلتَ ما أمليتُهُ عليــكا ؟

لويس : نَعَمْ نَعَمْ قبلتُ

السلطان : يا صبيحُ

صبيح : لبَّيْكَ

---

(١) تختلف المصادر فى قيمة الفدية بين ٥٠٠ ألف دينار ، ٨٠٠ ألف ، وألف ألف .

السلطان : دَعْ ضيفَكَ يستريحُ

[صبيح يقبض على « لويس » والسلطان ينهض للقيام]

السلطان : [وهو منصرف]

ضيفُكَ عالى المنْزلَةْ

فأحسنْ المعــــاملَةْ

صبيح : [وهو يصفعه بمعزل عن السلطان]

تعالَ يا بنَ الأرمَلَةْ[1]

هذا القفا ما أجملَهْ

هيا إلى دارِ « ابن لقمانَ » معى

نَلْهُ بهـا هنيهةً ونرتَعُ

[ســتار]

(١) تروى بعض المصادر التاريخية أن صبيحاً كان يضرب « لويس » التاسع كل يوم ٥٠ عصا . على أننا لم نعرض لهذا التنكيل إلا على سبيل الإشارة الخاطفة .

الفصل الرابع

[المشهد الأول]

المنظر : [دار ابن لقمان ، دار متواضعة عتيقة الأثاث ، الأسارى نائمون ، « ولويس » فى مكان بارز يهذى وهو نائم . صبيح نائم فى مكان منعزل . يسمع أذان الفجر]

لويس : [يهذى وهو نائم بكلام متقطع]

مُلكىْ بلادىَ عرشىْ أين موضعُهُ

أهكذا بيدى طوعاً أضيِّعُهُ ؟

أفى فرنسا أنا والسين يغمُرُها ؟

ما أبعدَ السينَ عنىْ أين منبعُهُ ؟

بل أنت فى السجن ضيفٌ يا « لويسُ » ؟ نعم

« لويسُ » فى السجن والسجَّانَ يصفعُهُ

« باريسُ » طيفكِ يبدو لى فألثمُهُ

وصوتُكِ العذبُ فى أذنىَّ أسمعُهُ

يا « مرغريتُ » تعالَىْ خفِّفى شَجَنى

ما بالَ وجهك عنّىٰ غاب مطلعُـــهُ ؟[1]

قولى « لروما » وللبابا « لويسَ » هنا

القيدُ فى يده والسجنُ مرتعُـــهُ

مالىٰ وللقدس أو مالىٰ أدافع عن

دين المسيح وكلُّ الناس تتبعُهُ ؟

قد حلَّ جيشى بوادى النيل يفتحُهُ

فـكانَ جيشىٰ بوادى النيل مصرعُهُ

« أُعطِيتُ ملـكاً فلم أُحسِنْ سياسَتَهُ

كذاك من لايسوس المُلْكَ يَخْلَعُهُ »

هنا يدخل الجاسوسان متلصصين يحاولان سرقة « لويس » السجين

الأول : مِنْ هنا فامش وَرَائِى من هُنَـــا

أطبَقَ النـــومُ العميقُ الأعينَا

هـــذه دارُ ابنِ لقمانَ

الثـانى : هَـــوَتْ

فوق أهليها سقوفاً وبِنَـــــا

---

(١) مرغريت هى زوجة « لويس » التاسع وكانت معه فى الحملة ، وهى التى تولت جمع مال الفداء .

الأول : اِخفضْ الصوتَ ولا تجهرْ به

وامشِ فوق الأرض مشياً هيِّناً

ألفُ ألفٍ ؟ يالهول الخطب ما

أفظعَ الغُرمَ وأغلى الثمنــا

الثـانى : لا لعمرُ الله لن ندفعَهــــا

الأول : عَلَّنـــا نُفْلتُ منها عَلَّنـــا

الثـانى : أبداً لا أنثنى عن خطفـــه

لا ولو فارق رُوحىَ البدَنَا

أين مولاك

الأول : هنـــا مستغرقٌ

فى كراه لا يَمَلّ الوسَنَـــا

نائم بين فراش خَلَـــقٍ

وغطـــاء يتحدَّى الكفنَـا

الثـانى : قم بنـــا نوقظُهُ من نومهِ

ونَحُثُّ الخطو فالوقتُ دَنَا

إن خلفَ البـــاب مُهْرًا سابقاً

« للوُيْسٍ » وجوادين لنـــا

فإذا شارفتْ الخيلُ بنـــا
شطَّ « دِمياط » ركبنا السُّفُنا

الأول : إنّ فى ساقيــه قيدًا محــكَماً

الثـانى : دعْهُ لى سوف تراه ليِّنـــا
لا تخَفْ إنَّ بجيبى مِـــبْرداً
يقطع الصخرَ ويَفْرِى المعدِناَ

[هنا يستيقظ صبيح ، فيرتبك اللصان ، ثم يقبض عليهما]

صبيح : [لنفسه] صوتٌ لعمرىَ رنَّ فى آذانِى
مَنْ ها هنا ؟ منذا الذى نادانِى

صبيح : [وهو يقبض عليهما ويوسعهما ضربا]
مَنْ أنتما يأيها اللصانِ ؟
ماذا بتلك الدار تسرقانِ ؟
ليس هُنا شىءٌ سِـــوَى القُضبانِ
والسُّورِ والسقوفِ والجُدران

الأول : [وهو يرتعد] عفوا فنحنُ

الثـانى : [وهو يرتعد] نحنُ تاجرانِ

صبيح : ماذا تبيعانِ وتشريانِ

مِنْ سِــلَعٍ فى ذلك المكانِ ؟

أتلك ســوق البطِّ والخرفانِ ؟

أم سوقُ بيعِ الجُبن والألبانِ ؟

أم ســوق بيع التين والرمَّانِ ؟

أم تلك سوق الخزِّ والكَتَّانِ ؟

أم سوق بيع الصّوف والأقطانِ

بل أنتما فى مصرَ جاسوسانِ

قد جئتما فى الليل تخطفانِ

مولاكما « ريدا » العظيمَ الشّانِ

كأنه من جُملة الأوانى

أو مِن حُلىِّ الخُرَّدِ الغوانى

صبرًا قليلا ســوفَ تُذْبحانِ

ومثلَ ســلخ الشاةِ تسلخانِ

وفى لهيب النار تُشْويانِ

الأول : مولاى ياذا العطفِ والإحسانِ

صبيح : مولاك ؟ يا للزور والبهتانِ

ما أنا بالمولى ولا السلطانِ

لكننى من جملة الخِصيانِ

مولاكما حامى حمى الصّلبانِ

الثانى : عفواً فنحنُ عندكم ضيفانِ

صليح : يا مرحباً بأكرم الضِّيفانِ

مائدتى كثيرةُ الألوانِ

ما أكلَ امرؤٌ علَى خِوانى

إلا شكا بالبطنِ والمُصرانِ

» [وهو يضربهما] طعْمُ العصا فيه شِفا الأبدانِ

والسَّوطُ نعم الزادُ للجَوْعانِ

والنعلُ هَشةٌ على الأسنانِ

ما اسمُ أبيك يا فتى الفتيانِ ؟

الأول : « ديجولُ »

صليح : كان لى من الخُلَّانِ

وكان من أكابرِ القُرصانِ

قد ماتَ وهو جالسٌ فى الحانِ

كم شربَ النبيذَ بالدِّنانِ

لا وسعَتْهُ رحمةُ الرحمنِ

ولا نجا ابنُهُ من السَّجَّانِ

[لويس يستيقظ وبعض الأسرى يجيئون على الصوت مترنحين من عذاب السجن]

لويس : [في ذلة] ما ذلكَ الصياحُ يا صبيحُ

صبيح : [في تهكم] جاءكَ ضيفٌ وجهُهُ مليحُ

وآخرٌ لسانُهُ فصيحٌ

ضَمَّهُما وضَمَّكَ الضريحُ

صبيح : [في لهجة جادة]

أتعرِفُ هذَيْن يا سيِّدِي ؟

لويس : [متلجلجا] نعمْ . لا . لقد صرتُ لا أهتدِي

صبيح : « لويْسُ » أجبنيْ بقول صريحٍ

صبيح : [بعدأن سكت لويس] لماذا سكَتَّ ولم تَرْدُدِ ؟

لويس : [في ذلة] هما من جنوديْ

صبيح : ونعم الجنودُ

أكانوا وكنتَ على موعدِ ؟

لويس : متى قَدِمَا ها هنا ؟

صبيح : شرَّفَا

بجنح الدُّجى الحالكِ الأسودِ

يسعى بهما الشوقُ ليلاً إليكَ

ومَنْ هزَّهُ الشوق لم يرقدِ

جنودُك جاءوا لكى يسرقوكَ
كأنكَ قُرْطٌ من المسجَدِ

صبيح : [وهو يبرز المبرد]

وفى جيب هذا الشجاع الجرىء
عثرْتُ على ذلك المِبْرَدِ
لتهنأْ « فرنسا » بعهدٍ جَديدٍ
من المجد يسمو على الفرقَدِ
أترضى التلصُّصَ يا بنَ المسيحِ
ويا حامىَ القُدْسِ والمعبدِ ؟
غدرتُمْ وما أقبحَ الغدرَ عندَ
رجال الكنيسةِ والمسجدِ

صبيح : [لأحدهما وهو يضربه]

تعال أؤدِّبْكَ يا بنَ اللئامِ
فما يُحسن الضربَ إلا يدى

صبيح : [للثانى وهو يضربه]

وأنت سأعطيك خمسين سوطاً
بسوطىَ وإن شئت فلتزددِ

لويس : [فى ذلة] أأوصاكَ مولاكَ فينـــا بهذا ؟

يمينَكَ أمسكْ ولا تمْـــدُدِ

صبيح : صهِ أنتَ أهلٌ لضرب السياطِ

وليس عليك بمستبعَـــدِ

لقد أحبطَ الله أعمـــالكم

بمصرَ ولن يُفلح المعتـدى

[هنا تشرق الشمس]

صبيح : [فى تهكم] والآنَ ياضيوفىَ الكرامْ

جئتمُ وحان موعد الطعـامْ

[ينصرف صبيح لإحضار طعام الفطور]

لويس : [للجاسوسين]

ماذا أتى بكما وكيفَ اجتزْتُما

هذا السياجَ المُحكمَ الأقفالِ ؟

الأول : جئنـا لنخطَفَ سيدى من سجنه

ضنًّـا على مولاتهم بالمـالِ

لويس : مولاتِهم ؟ مَنْ هذه ؟

الثانى : سلطانةٌ

فى قبضتيهــا دفّةُ الأعمالِ

لويس : مَنْ تقصدانِ ؟

الأول : شجيرةَ الدُّرِّ التى

وليتْ عليهم بعد موت الوالى

لويس : تُورانُ أين مضى ؟

الثانى : رماه جنوده

غدرًا فمــات ممزَّقَ الأوصالِ

لويس : [لنفسه] ياللهوانِ إذنْ فأمرىَ الآنَ فى

يد ناهدٍ هيفــاءَ ذاتِ دلالِ

سيقول عنّى أهلُ أوربا غدًا

أنثى بمصرٍ أوقعتْ برجالى

لويس : [للجاسوسين]

مازال فى « دمياط » باقى جيشنا

لِمَ لا يخلِّصنا من الأغلالِ ؟

فَلْيَسْتَغِلَّنَ اضطرابَ الحــال فى

مصرٍ فذلك وقتُ الاستغلالِ

الأول : هيهاتَ يامولاى إن جنودَنا

فى الثغر قد باتت بأسوإ حالِ

الشعبُ يامولاى يدفع وحــــدَهُ

عنْ مصرَ بالحــكام ليس يبالى

لو جاء مصراً كلَّ يوم حاكمٌ

ما كان للآمال أىُّ مجــالِ

إن الثيابَ الزُّرقَ كانت وحدَهــا

فى مصرَ مصــدرَ خيبــةِ الآمالِ

[هنا يظهر صبيح ومعه طعام متواضع ، ولا بأس أن يكون معه بعض الحرس المساعدين]

لويس : [فى رعب]

أمسك لسانَكَ

أحد الأسرى : صَــــهْ

ثان : صَبيحٌ قد أتى

ثالث : تبًّا له من ماردٍ محتالِ

رابع : كم سامنى سوء العذاب بسَوْطِهِ

وأذلنى وألحَّ فى إذلالى

صبيح : [وهو يقدم الزاد وهم يأكلون فى ذلة]

زادٌ شهىٌّ طيِّبٌ كلوا هنيئاً واشربوا

وذاكَ ماءٌ مثلُ ما ءِ «السِّين» لا بل أعذبُ

إنى لــكلِّ نازلٍ أهلٌ ودارىَ مرحَبُ

لا تغضبُوا إن سُسْتُكُمْ بقسوةٍ لا تغضبُوا

إنى لكم مقوِّمٌ سوطىَ لكم مُؤدِّبُ

والسجنُ للأشرار نعـ ـمَ المُصلحُ المهذِّبُ

ما هو إلا معهَدٌ فيه العلوم تُطْلَبُ

فيه على الأخلاق كلُّ ناشزٍ يُدرَّبُ

يفقِد فيه الأفعوا نُ سُمَّهُ والعقرَبُ

هنا الظلوم يرعوى هنا يتوب المذنبُ

مَنْ عذَّب الناسَ ففى سجنى هنا يعذَّبُ

كلوا هنيئاً يا ضيو فىَ ودعونى أخطُبُ

طعام مصرَ طيبٌ وجيشُها لا يُغْلَبُ

بالله هل صدقت فيـ ـما قلتُهُ ؟ لا تكذِبُوا

[هنا يسمع طرق على الباب]

صليح : [وهو يفتح الباب]

مَنْ يدقُّ البابَ من يا هل تُرَى ؟

صليح : [ومرغريت داخلة]

يا صباحَ الفلِّ سجنى نوَّرَا

مرغريت : أهنا « ريدَا » حبيبى؟

صليح : ها هنا

[لنفسه] جلَّ من صوَّرَ هذا القمرا

مرغريت . [وهي تعانق لويس وكلاهما يبكي]

قريني « لُوَيْسَ » ونعْمَ القرينْ

أفي السجن أنت ؟ أأنتَ سجينْ ؟

لويس تعالَيْ أقبِّلْكِ يا « مرغريتُ »

تعالَيْ أقبِّلْكِ فوقَ الجبينْ

مرغريت : أهذا مصيرُ ملوكِ « فرنسا »

وتاجِ « فرنسا » الأغرِّ الثمينْ ؟

أسلتَ دموعي فريْتَ ضلوعي

أذابَ فؤاديَ فرطُ الحنينْ

أبعدَ السريرِ ولُبسِ الحريرِ

نقيمُ بهذا المكانِ المَهينْ ؟

لويس : دموعُكِ يفعلنَ يا « مرغريتُ »

بقلبي فعْلَ المُدَى بالوتينْ

بِرَبِّكِ لا تَفطُري مهجتي

بسيفِ البكاءِ ونصلِ الأنينْ

مرغريت : بناتُكَ يبكينَ ليلَ نهارَ

وطفلُكَ دامى الفؤادِ حزينْ

لويس : ألا فى سبيل الصليبِ شقائى

وذلُّ البناتِ وهمُّ البنينْ

لقد جئتُ أُضفى على القدس ظلِّى

وأحمى الصليبَ من المسلمينْ

فلطَّختُ بالعار وجهَ « فرنسا »

ووجهَ الكنيسةِ طولَ السنينْ

دخلتُ ديارَ الفراعينِ أمسِ

دخولَ القياصرة الفاتحينْ

وما كنتُ أعلمُ أنَّ بمصرَ

بُزاةَ الهواءِ وأُسْدَ العرينْ

مرغريت : وما أنتَ والقدسَ تحمى حماهُ ؟

وما القدسُ والحربَ فى كل حينْ ؟

لقد قوَّضَ القدسُ صرحَ السَّلامِ

وشنَّ الحروبَ على الآمنينْ ؟

أباسم الدياناتِ تجرى الدِّما

ء والحربُ يمقُتُها كلُّ دين ؟

لويس : فديتُكِ قد فاتَ وقتُ العتابِ

فكم تعتِبينَ وكم تعذِلينْ

دعينى من اللوم يا « مرغُريتُ »

فبيْنَ ضلوعىَ داءٌ دفينْ

لئن كنتُ أخطأتُ نهجَ الصوابِ

فإنىَ كالناس ماءٌ وطينْ

تسيرُ الرياحُ سَمُوماً ورَهْوًا

وتجرى بما لا يَوَدُّ السفينْ

بربِّكِ « يا مرغيتُ » أَعينى

« لُويْسَ » فإنَّ الكريمَ معينْ

أعينى « لويسَ » بمال الفداء

فإنىْ به فى السجون رَهِينْ

ألا أبلغى الشعبَ ما أنا فيهِ

وكونى إليه رسولى الأمينْ

إذا كان سلطانُ مصرَ كريماً

فشعبىَ ليس بشعبٍ ضنينْ

مرغريت : حلفتُ بمالَكَ فى مُهجتى

من الحبِّ أعظِمْ به من يمينْ

لسوف أســوقُ إليكَ الفداء

ولو بعْتُ فيه ســوادَ العيونْ

لويس :[وهويعانقها] دعيني أُقبِّلُ تلك العيونَ

فإنى لها بالحياةِ مدينْ

[ســتار]

[المشهد الثانى]

[من الفصل الرابع]

المنظر : [منظر الفصل الثالث نفسه . بهو بقصر السلطان
في المنصورة . في الصدر عرش للملكة .
الوقت صباح .]

[يفتح الستار على تاج الملك وهى تندب حظها وتبكى حبيبها بيبرس]

تاج الملك : [فى لوعة وهى لابسة درعها ومعها سيفها]

« مالى وللنجم يرعانى وأرعاهُ

أمسى كلانا يعافُ الغمضَ جِفناهُ ؟ »[1]

« لى فيك يا ليلُ آهاتٌ اردِّدُها

أوَّاهُ لو أجدَتْ المحزونَ أوَّاهُ

(١) قد يكون من نجاح الرواية أن تغنى هذه القصيدة على المسرح بنغمة حزينة .

لو يعلم الطير شجوى ماشدا طربا

ولا أقام على غصن فغناه

لو يعلم الروض شجوى جف زاهره

ولم تفح كفتات المسك رَيَّاهُ

لو يعلم النجم شجوى غابَ شارقُهُ

لو يعلم النيلُ شجوى كفَّ مجراه

إنى نعيتُ أخى من سبعة سلفَتْ

واليومَ هـــذا حبيبىْ بتُّ أنعاهُ

وما علمتُ له مثوًى فأَرويَهُ

بالدمع ليتَ سوادَ العين مثواهْ

فى ذمة الله يا « بيبرسُ » ليثُ شرًى

أردته كفَّاىَ بل أردْتُه كفَّاهُ

ليثُ العرينة من فى الغاب جَنْدَلَهُ ؟

ليث الـكريهة من فى الحروب أرداهُ ؟

وكم بذلتُ له نصحى نخـــالفَنى

وكيف يُفلتُ ممـــا قدَّرَ الله ؟

تاج الملك : [تشير لهجتها إلى لهجة تهديد فيها قوة]

أقسمتُ ما أخذَتْ ثأرى يدُ كيدِى

فليرفعْ الرُّمْحُ بالصَّمصام يُمنـاهُ

اليومَ ألبسُ درعىَ للقتالِ وما

ضرَّ الحمى أن تخوض الحرب أنثاهُ

فإنْ ظفرتُ شفانى ثأره وإذا

قضيتُ نحْبى ففى الفردوس ألقاهُ

تخرج تاج الملك وتدخل الوصيفتان أنغام وأنسام

أنغام : مُلْكٌ يدبِّره الإلهْ وتُديرُ دفّتَهُ يداهْ

أنسام : إنّا جهِلنـا مبتدا ه فكيفَ نعرف مُنتهاهْ

كم فى ضمير الغيب يا أختاهُ من سرٍ طواهْ

أنغام : آهٍ على ما ناب « تا ج الملك » يا أختاهُ آهْ

أنسام : مَنْ يفقدُ الأحبابَ بعـ دَ الأهل تدْمَى مقلتاهْ

ويعافُ جفناه الكرى ويطول فى الدنيا أساهْ

أنغام : لا كان يومٌ فيه قد هتفَتْ « بيبرسَ » النعاةْ

لا جسمُهَا لبسَ الحدا دَ على الحبيب ولا ارتدهْ

لكنَّها لبسَتْ عليـ ـه درعها لبس الكماةْ

وتقلَّدتْ سيفـاً صقيـ ـلًا لاتُفَلُّ له شَبَـاةْ

وتقول إنى سوف آ	خذ ثارَهُ

أنسام : يا ويلتــاهْ

ما للمهـــاةِ وللوغى ؟	هل تحسنُ الحربَ المهاةْ ؟

أنغام : الحزنُ إذ يَشتدُّ يفـ	ـلُّ كلَّ شىءٍ بالفتــاةْ

إنى لأحسبهـــا تضيـ	ـقُ الآنَ ذرعاً بالحياةْ

أنسام : ويْلى على « بيبرسَ »

أنغام : بل	ويلى على « توارنَ شاهْ »

ويلى على « تورانَ » وا	فتْهُ المنيـــة فى صباهْ

أنسام : ذبحوه يا أختاهُ فو	قَ سريره ذبحَ الشياهْ

أنغام : وجَنَى عليـــه جندُه	واللهِ لا أحدٌ سواهْ

أنسام : الناس تهمِسُ أن زو	جَ أبيه من بعض الجناةْ

أنغام : يا ويحهـــا أخفينَا	قتْلَتَهُ لم تذكرْ أباه

أنسام : السرُّ فى المـال الذى	أخفته من بعد الوفاةْ

من يوم طالبَهـــا به	« توران » لم تأمنْ أذاهْ

أنغام : ودسيسةُ الشمع التى	دُسَّتْ عليـه من عداهْ

أنسام : فليَهْنهـــا عرشٌ تولَّـ	ـتْهُ عريضٌ جانباهْ

أنغام : قد أصبحتْ من بعده	فى مصرَ واليــةَ الولاةْ

أنسام : الحقُّ أن لهـــا ذكا ءً خارقاً ولها حصاةْ
أنغام : ولذاكَ كان لمُلكها وقعٌ وكلُّهم ارتضاهْ
أنسام : وإذنْ غَدَا خبَرا بنو أيّوبَ يرويه الرواةْ
أنغام : وانهار ملكُهم العريـ ـضُ وراح ينعىَ من بناهْ
أنسام : أعلمتِ بالخبر الذى هَمَسَتْ به أمسِ الشفاهْ
أنغام : ما ذاكَ
أنسام : [فى ابتسامة]
« عزُّ الدين أيـ ـبكُ » صار ذا عزٍّ وجاهْ
والعرشُ سوف يصير زو جتَهُ على رغم الوشاةْ
أنغام : وإذنْ سيحكمُ فى حما ها
أنسام : أو ستحكُمُ فى حماهْ
أنغام : ولربّما عشِقتْ سوا هُ غداً وتيَّمها هواهْ
أنسام : كانت « بيبرسٍ » تشبّ بُ قبل أن يلقى رداهْ
أنغام : مولاتنـــا أنثى وإن خَضَعَتْ لصولتها الجباهْ

[هنا يدخل صبيح بالأسرى يقدمهم « لويس » فى شكل « طابور » عسكرى من باب المسرح متجها إلى الباب المقابل ،
كأنه آت بهم من السجن ليحفظهم فى القصر استعدادا لإطلاقهم]

صبيح : [في صوت عال والأسرى خلفه فى حركات منتظمة]

أمامَكَ سرْ وراءك سرْ
هنـــا فانتظرْ يميـــنك دُرْ
يســـارَكْ درْ أمامك سرْ

[صبيح يدخل الأسارى ثم يعود إلى المسرح]

أنغـام : هـذا لعمرىَ منظر مليحُ من هؤلا القوم يا « صبيحُ » ؟

صبيح : من هؤلاء ؟ هم أسارى السِّين يقدمُهُم « ريدا » عدوُّ الدينِ
علَّمتُهم بسوطىَ النِّظَامَا فأحكموا دروسَهُ إحكامَا
وليسَ فيهم واحدٌ عَصَانى بل كُلُّهم أطوعُ من بنانى

أنسام : وفيم جاءوا ها هُنَا ؟

صبيح : تمهيدًا لأن نفكَّ عنهم القيودا
اليومَ يظفرونَ بالإطلاق سيُفلتُ الأشرارُ من وَثاقى
ومَنْ بهذا « ياصبيح » قد أمَرْ ؟

أنغام : مولاتنا صاحبة الوجه الأغَرْ

صبيح : [هنا تدخل السلطانة شجرة الدر يحف بها حاشيتها . بين الحاشية أيبك وأقطاى والشاعر جمال الدين بن مطروح]

صبيح : [فى صوت عال]
مولاتنا ذاتُ الجمالِ والندَى

أحد الحاشية : عاشَتْ لنا

ثان : أرواحنا لها فدا

شجرة الدر : أيبك أين أنت ؟

أيبك : لبيكِ أنا

في خدمة السلطانة العظمى هنا

شجرة الدر : اليومَ يومُ الموعـــد المضروبِ

لدفع مال الفديةِ المطــلوبِ

فهل أتانا أحدٌ بالمـــالِ ؟

أيبك : صبراً سيأتون به في الحالِ

شجرة الدر : قد وعدَتْنا « مرغريتُ » أنهـا

تُحضرُهُ اليوم إلينا

أيبك : شأنَهـا

شجرة الدر : [لصبيح]

« صبيحُ » هـل أتيتَنا بالأسرى ؟

صبيح : نعم نعم لقـــد أطعتُ الأمرا

جئتُ بهم في غاية الخنوعِ

والذلِّ والتسـليم والخضـوع

شجرة الدر : وهل أتت من عندِهم أسرانا ؟

أقطاى : أول وفـــد منهمو أتانا

قد أُطلقَ الجميعُ من دمياطَا

بعضٌ أتى وآخرٌ تبــــاطَا

[هنا يسمع هتاف خارج المسرح]

النصرُ للأحــــرارْ المـــوتُ للأشرارْ

النصـــر لمصرْ ولمصر النصـــرْ

يحيا لنا « بيبرسْ » اليومَ يومُ العـــرسْ

يحيا الفتى الكرارْ الفــــارس المغوارْ

شجرة الدر : ما ذلك الصوت الذى شقَّ السما ؟

أقطاى : الشعبُ يحتفى بنصرة الحمى

أيبك : إنى أرى بالباب ضيفاً قادما

الحاجب : [فى لهفة]

سيدتى « بيبرسُ » عاد سالما

جاء و « تاج الملك » قد جاءت معَه

شـــاهرةً حسامهـــا مدرَّعةْ

بيبرس : [بعد دخوله]

سلامٌ على سلطانة النيل

الجميع : [وهم يعانقونه] مرحباً

طلعتَ على أفقِ الكنانةِ كوكباً

شجرة الدر : أكنتَ أسيراً ؟

بيبرس : [باسماً]

بل قتيلا محجباً

ببطن الثرى لكنَّ روحىَ قد أبى

فعاد إلى جسمى

شجرة الدر: بربِّك نبِّئنِى

حديثَك ما أحلى الحديثَ وأعذبا

بيبرس : ذهبتُ إلى حرب العدوِّ ولم أكنْ

لو أنى أطعتُ العاذلاتِ لأذهبَا

تاج الملك : أتقصدنى بالعاذلاتِ

بيبرس : نعمْ نعمْ

وعذلُكِ عندى كان شهداً مذوَّبَا

رأتْ فى الكرى رؤيا فجاءتْ تصدُّنى

ولكنْ مساعيها معى ذهَبَتْ هَبا

فلما اقتحمتُ الحرب والسيفُ فى يدى

رأيتُ هناك اثنين ذئباً وثعلبا

يقولان : « تاجَ الملك » أدركْ فإنها

سباها العدو المعتدى ضمنَ من سبا

وسارا أمامى فى دروبٍ كثيرةٍ

وسرتُ على خطوَيْهما متعقِّبا

فــلم أرَ إلاّ فيلقاً متربّصاً

يحوطونَ مهرى بالأسنة والظُّبى

رمَوْهُ بسهم صــائبٍ فهمزْتُه

وقلتُ لمهرىَ انهضْ ولكنَّه كبا

وحفَّ بى الأشرارُ من كل جانب

فلم أرَ لى فى ساحة الحرب مذهبا

فشدُّوا إسارى ثم قالوا مجندَلٌ

ليفتُرَ جيشىَ فى القتال ويرهَبا

ولــكنَّ نصرَ الله كانَ حليفَنا

وما كانَ جند المسلمين ليُغلَبَا

وهأنذا قد عُدْتُ

شجرة الدر : أهلا ومرحباً

أحدالحاضرين . أنرتَ الحمى

ثان : لا غاب نجمك أو خَبَا

شجرة الدر : ومابال « تاج الملك » تلبس درعَها
وتَشْهَرُ حد السيف كالليث أغلبا ؟

تاج الملك : [فى خفر]

أبعد حبيبى أتركُ السيف مغمَدًا ؟

صبيح : إذا الأُسْدُ لم تنفعْ فقد تنفع الظِّبَا

تاج الملك : [تهجم عليه]

أجرِّبُ سيفىَ فيك ؟

صبيح : [فزعا] سيفُكِ قاطعٌ
وليس به من حاجة أن يجرَّبَا

الحاجب : مولاةِ « مرغريتُ » خلفَ البابِ

شجرة الدر : فلتدخلْ الحسناء بالتَّرحابِ

مرغريت : تحيةً أيتها السلطانَةْ

شجرة الدر : يا مرحباً بضيفة الكنانةْ
أين الفدا ؟

مرغريت : [وهى تسلمها مظروفا] فى ذلك الغلافِ
تفضَّلى يا ربة العفافِ

صبيح : [لنفسه] جمعتْهُ بيديها من دماء الشعب جمعاً

إن من صوّر هذا الـ ـوجْهَ قد أبدع صُنْعاَ

شجرة الدر : صبيح

صبيح :[مغيرانغمته] لبيــــك . نعم مولاتى

هاتِ الأَسارى يا « صبيحُ » هاتِ

[صبيح ينطلق لإحضار الأسرى]

شجرة الدر : ســـيظفر الجميعُ بالإطلاقِ

إنّاَ نفى بالعهد والميثاقِ

مرغريت : هــذا الوفاء عهدُنا بمصرَا

شكراً لربة العفاف شكرا

صبيح :[يأتى بالطابور] أمامَكَ سرّ يمينَكَ درْ

عن السير كُفْ هُنا فلتقفْ

شجرة الدر : « صبيحُ » أطلقهم من الوثاقِ

فإننى منَنْتُ بالإطـــلاقِ

صبيح :[بعدأن يفكهم] ســيدتى أفديك بالروح

فلنستمعْ شــعر ابنِ مَطروحِ

وليستمع أيضاً « لوَيْسْ »

نعَمْ

شجرة الدر : هــذا مقام ملهِمٌ يوحى

ابن مطروح : « قلْ للفرنسيس إذا جئتَهُ

مقالَ صدق من قئولٍ فصيحْ »[1]

« آجَرَكَ اللهُ على ما جرى

من قتل عبَّاد يسوعَ المسيحْ »

« أتيتَ مصراً تبتغى ملكَها

تحسبُ أن الزمْرَ يا طبلُ ريحْ »

« فساقَكَ الحَيْنُ إلى أدهَمٍ

ضاق به عن ناظريك الفسيحْ »

وكلُّ أصحابك أودعتَهُم

بحسن تدبيرك بطن الضريحْ »

سبعون ألفاً لا يُرى منهمو

إلا قتيلٌ أو أسيرٌ جريحْ »

ألهمكَ اللهُ إلى مثلِها

لعلَّ عيسى منكمو يستريحْ »

---

(١) آثرنا أن ندع هذه القصيدة برمتها فى المسرحية لسهولتها وقيمتها التاريخية بالنسبة لموضوع الرواية .

« إن يكنْ البَابَا بذا راضياً
فربَّ غشٍّ قد أتى من نصيحْ »

« وقل لهم إنْ أزمعُوا عودةً
لأخذ ثأر أو لفعل قبيحْ »

دار « ابن لقمانَ » على حالها
والقيدُ باقٍ والطواشىْ صـــبيحْ »

[تصفيق من الجميع]

لويس : شـكرا على إحسانـكم شـكرا

شجرة الدر : انطلقوا يأيهـــا الأسرى

[هنا يخرج الأسرى فى مقدمتهم [لويس] و [مرغريت] على شـكل طابور .
فى نهاية الطابور الجاسوسان . تقع عين بيبرس عليهما فيقبض عليهما]

بيبرس : [للجاسوسين]

لا تبرحا يا صـــــاحبَّ البابا
فإن لى مَعَـكُما حساباَ

بيبرس : [لشجرةالدر] ســـيدتى كلاهما غريبى

الجاسوسان: العفوُ من شمائل الـكريم .

شجرة الدر : « بيبرس » من هذان ؟

بيبرس : جاسوسانِ

قالا لنا بل نحن تاجرانِ

فنزَلا فى منزل الضِّيفانِ

كالحيَّة الرقطاء والثعبانِ

هما هما اللذانِ أوقعانى

صبيح : وأَتيا لِسرْقةِ السلطَانِ

فوقَعَا فى قبضةِ السَّجانِ

أقطاى : ولَعِبَا دورا مع الفُرسان

أيبك : ولعبا آخرَ معْ « تُورانِ »

وأفسَدَا فى هذه الأوطانِ

شجرة الدر : فليُضْرِعَا

بيبرس : [يضرب الأول ثم الثانى]

اذهبْ إلى الشيطانِ

وأنتَ فلتمضِ إلى النيران

[يخر الجاسوسان صريعين فينقلان فورا خارج المسرح]

بيبرس : [لتاج الملك] الآن قد وَفيْتُ بالميثاقِ

رأساهما قد تمَّا صَدَاقِى

ما رأى « تاج الملك » ؟

بيبرس :[وهى ساكتة فى خفر] لم تجيبى

تاج الملك : [وهى تعانقه] لقد قبضتُ المهْرَ يا حبيبى

شجرة الدر : ويا ترى المأذونُ مَنْ يكونُ ؟

[هنا يدخل « الشيخ عز » ومعه شيخ عراف كث اللحية يتأبط كتابا ضخما]

بيبرس : ها هو ذا قد حَضَرَ المأذونُ

شجرة الدر : « بيبرسُ » لن تظفَرَ بالقرانِ

وحدَكَ بل « أيبك » زوجٌ ثانِ

أنت لتاج الملكِ زوج وهْوَ لِى

أيبك : [لبيبرس]

عُرسىْ وعرسُ صاحبى فى محفِلِ

الشيخ عز : سأحضرُ الدواة والكتابا

وأعزم الجيرةَ والأصحابا

عرسٌ سعيدٌ زاهرٌ وآخَرُ

والنصرُ عرس المسلمين الأكبرُ

شجرة الدر : [للشيخ عز]

مَنْ ذلك الشيخ الذى ترافقهُ ؟

الشيخ عز : خِل عزيزٌ لىَ لا أفارِقُهْ

ما مثلُه في الأرض من عرّافِ

وليس من سرٍّ عليـــه خافِ

الإنس فـــوق الأرض تستفْتِيهِ

والجن تحت الأرض لا تعصيهِ

شجرة الدر : [للعراف]

يأيهـــا الشيخُ المَهيبُ أقْبلِ

العراف : لبيْكِ مـــولاتِىَ مرى أمْتَثلِ

شجرة الدر : إنى ارتضَيتُ اليومَ « عزَّ الدينِ »

زوجاً لـكى أحفظَ نصف دينِى

هل يا تُرى زواجُنا موفَّقُ ؟

العراف : [وهو ينظر فى الـكتاب ويقرأ فى تؤدة وضغط على الحروف]

دَعِى الـكتـــاب يا فتاتى ينطقُ

باسمك يا مكـــوِّنَ الأ كوانِ

يا عالمـــا بالسر والإعــلانِ

مولاى أنتَ عالمُ الغيوبِ

علمُكَ نافذ إلى القـــلوبِ

سألتُكَ التـــوفيقَ والإبانهْ

عمـــا تريدُ حضرةُ السلطانَهْ

هـــذا زواجٌ تحمدانِ حاضرَهَ

والله ربُّ العـــرش يدرى آخرَهَ(١)

وزوجُك السلطانُ « عزُّ الدينِ »

يجلس فوق العرش بعـــد حينِ

تاج الملك : [للعراف]

ناشدتُكَ اللهَ ألا أَبنتَ لِي

يأيهـــا العرّاف عن مستقبلى

العراف : مستقبلٌ يؤذِنُ بالســعادهْ

ويمنُهُ مطّــردُ الزيادَهُ

وبعـــد فترةٍ من الزمانِ

يقـــالُ عنكِ زوجةُ السلطانِ

« بيبرسُ » فى غدٍ يسمى الظاهرَا

يعودُ من حرب الصليبِ ظافرَا

الشيخ عز : يا صاحبَ الإفضال والأيادى

قلْ لىَ عن مستقبل البلادِ

هل الفرنسيُّون بعـــد الآنَا

سَيَطَئُونَ هـــذه الأوطانَا ؟

---

(١) يلاحظ أن هذا الزواج انتهى بالفشل فقد قتلت شجرة الدر زوجها فى الحمام .

العراف : يُغـــيرُ جيشُ السين مرتَيْنِ

ويثنى أفشَلَ من حُنَــــيْن

فى المرة الأولى سيزحفُونَا

فى عهْد مَنْ يُدْعَى « بنابلْيُونَا »

حينئـــذٍ ينتصرُ الشعبُ البطَلْ

ويرجعُ الجيشُ المغـــيرُ بالفشَلْ

ومرةً أخرى « فرنسا » تَظْهَرُ

فى مصرَ إلا أنهـــا لا تَظْفَرُ

فيهـــا تزور برزخَ السُّوَيْسِ

عصابةٌ أجبنُ من « لُوَيْس »

يُسندها جيشٌ من السكسونِ

وآخرٌ من سِفْــلة الصِّهيونِ

فيرجعُ الـكلُّ رجوعَ الخاسرِ

ويرجعُ الشعبُ رجوع الظـــافرِ

الشيخ عز : فى عهد مَنْ ؟

العراف : [فى قوة] فى عهد عبد النـاصر

[ستـــار]

مطابع دار القلم بالقاهرة

هذا الكتاب

* « ... قطاع من تاريخنا المشرق ، فقد اشرأبت أعناق الصليبيين الى السيطرة ، وكان غزو لويس التاسع ملك فرنسا لمصر ... ولم يكن يتوقع أن هذا الشعب سيستمرئ مرارة الحرب ، ويجد لذة فى الكفاح ، حتى توالت الهزائم على كتائبه فى معركة المنصورة ، وأصبح أسيرا فى دار ابن لقمان ... ووقائع هذه المعركة نصلها الأستاذ الشاعر الكبير ، دون أن يتجنى أو يفتات على حقائق التاريخ . ولقد توخى القواعد الأساسية فى التأليف المسرحى ، وصحب بفكره أبطال روايته عن وعى وادراك كاملين ، وأبرز أدق الخلجات والنزعات التى تجيش فى قلوبهم ... »

هذه كلمات معبرة ، من فنان قدير : هو عزيز أباظة ، الشاعر الكبير صاحب المسرحيات الشعرية الرائعة ...

* والشاعر الاستاذ محمود غنيم نظم الشعر من قديم ، فقد نشرت له الصحف قصيدة فى رثاء الزعيم محمد فريد ١٩١٩ وكان مازال طالبا ، وتتابعت أشعاره تنمو وتزهر حتى نال ديوانه (صرخة فى واد) الجائزة الأولى فى أول مسابقة عقدها المجمع اللغوى بين الشعوب العربية ١٩٤٧ . وعالج التأليف المسرحى ، فكانت مسرحيته الشعرية (غرام يزيد) الأولى فى مسابقة وزارة الشئون الاجتماعية ١٩٥٠ ، وقد مثلت مسرحياته الشعرية المتعددة فى الأقطار العربية .

* ويسر دار القلم أن تقدم الى القراء مسرحية (النصر لمصر) ... وهى تدعو لصاحبها مع الشاعر الفنان عزيز أباظة « أن يديم عليه ما أسلفه له من نعمة البلاغ والتألق فى خدمة اللغة العربية الكريمة ، والشعر العربى الخالد » .

دار القلم



الثمن